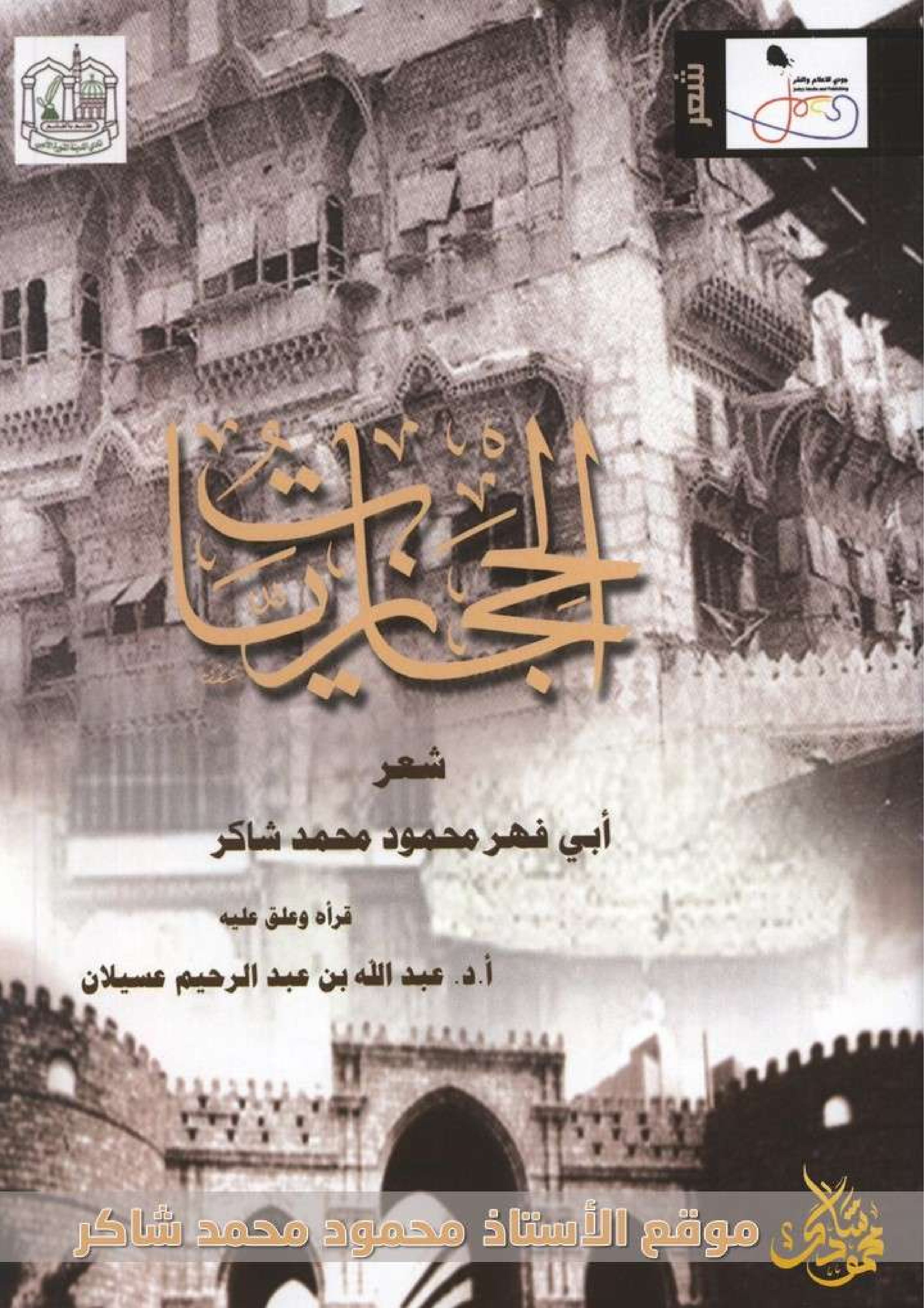

شعر
الحجازيات
شعر
أبي فهر محمود محمد شاكر
قرأه وعلق عليه
أ.د. عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان
موقع الأستاذ محمود محمد شاكر



شعر

أبي فهر محمود محمد شاكر

قرأه وعلق عليه وكتب المقدمة

أ.د. عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان

رئيس مجلس أمناء مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي
لخدمة اللغة العربية بالرياض
ورئيس مجلس إدارة النادي الأدبي بالمدينة المنورة



شعر

أبي فهر محمود محمد شاكر

قرأه وعلق عليه وكتب المقدمة

أ.د. عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان

رئيس مجلس أمناء مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي
لخدمة اللغة العربية بالرياض
ورئيس مجلس إدارة النادي الأدبي بالمدينة المنورة

بسم الله الرحمن الرحيم

ح نادي المدينة المنورة الأدبي ، ١٤٣٦هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
شاكر ، أبوفهر محمود
الحجازيات/ أبو فهر محمود شاكر - المدينة المنورة ، ١٤٣٦هـ
٨٥ص ؛ ٢١ سم
ردمك: ٨-٣-٩٠٥٧٣-٦٠٣-٩٧٨
١- الشعر العربي -السعودية أ.العنوان
ديوي ٨١١،٩٥٣١ ١٤٣٦/٣٢٤٥
رقم الإيداع: ١٤٣٦/٣٢٤٥

الطبعة الأولى ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

ردمك: ٨-٣-٩٠٥٧٣-٦٠٣-٩٧٨



المملكة العربية السعودية ص.ب:750 - المدينة المنورة
هاتف:8471905 014 - فاكس: 8474913 014
البريد الإلكتروني : adabimadina@yahoo.com
الموقع على الأنترنت : www.adabimadina.net

نادي المدينة المنورة الأدبي



السعودية، هاتف: 155 909 559 (966+)
البريد الإلكتروني: jodymediaa@gmail.com
الموقع على الأنترنت: www.jodymediaa.com


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

ها هو ديوان الحجازيات يدلف إليك أيها القارئ المتعطش إليه ، مجلوًا في حلته القشيبة ؛ من روعة البيان ، ورصانة الشعر ، المجلوة ممن رصف كلماته ، وأبدع في نظمه العلامة محمود محمد شاكر ؛ صاحب الكلمة الشاعرة ، والبيان الساطع ، والحجة النيرة .

ولا ريب أن نشر هذا الديوان سيضع بين يدي الباحثين والدارسين لأدب وحياة العلامة محمود شاكر مادة ثرة ، كانت محجوبة عنهم ، تكشف لهم عن جوانب عديدة من شخصيته وأدبه وحياته ، ربما تضيف جديدًا لما سبق نشره من تراثه الأدبي والشعري .

وحينما ترامى إلى سمعي خبر هذا الديوان ؛ اتصلت بابنه الدكتور فهر ، وأبديت له رغبتي في العمل على نشره ، فاستجاب لهذه الرغبة مشكورًا ، وسلمني مسودة الديوان في زيارتي للقاهرة .

وبعد عودتي ؛ عكفت على قراءته ، والتعليق على ما يحتاج إلى تعليق ، ويكاد ينحصر ذلك في تفسير بعض الألفاظ التي تحتاج إلى بيان لمعانيها حسب سياقها الذي وردت فيه .

كما أعددت دراسة للديوان ؛ تحدثت فيها عن شاعرية صاحب الديوان ، وإلقاء الضوء على أبرز معانيه وخصائصه من حيث الشكل والمضمون ، وهي دراسة موجزة ، لم أكن أقصد منها إلى الدراسة الأدبية والفنية الموسعة ؛ على أن قصائد هذا الديوان تتراوح بين الوجدانيات والإخوانيات والحنين إلى الوطن .

ويعد من بواكير شعره الذي لم ينشر بعد ، وتأتي أهمية هذا الديوان أنه ولد وترعرع في أحضان الحجاز ، وفي مدينة جدة على وجه التحديد في الفترة التي امتدت من ١٩ ربيع الأول عام ١٣٤٧هـ إلى ٢٧ ذو الحجة عام ١٣٤٧هـ ، كما سيأتي في الدراسة التي تتصدر الديوان .

وقد سبق أن رأى النور ديوانان له ، نشر أولهما الديوان الذي تألق بقصيدته القوس العذراء ، نشر في طبعته الثانية ١٣٩٢هـ ، والثاني ديوان اعصفي يا رياح ، صدر في طبعته الأولى عام ١٤٢٢هـ .

وقد عني بنشره ابنه الدكتور فهر ، والأستاذ الدكتور : عادل سليمان جمال ، الذي قدم له بدراسة ضافية .

على أن في الجعبة مجموعة شعرية أخرى للشاعر نفسه ، عنوانها (جاني الورد) يجري العمل على إعدادها للنشر .

والله ولي التوفيق .

أ.د. عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان

محمود شاكر الشاعر

العلامة محمود شاكر عالم متبحر ، وباحث مدقق بعيد الغور في علوم اللغة العربية ، وأديب يمتلك ناصية البيان ، وهو إلى جانب ذلك شاعر مبدع تفيض قريحته بإبداعات وتجليات من الشعر الرصين ، الذي تتمثل فيه الجزالة والمواءمة بين القديم والجديد ، وله نتاج شعري ليس بالقليل ، غير أنه انصرف في فترات من حياته الأدبية والعلمية إلى البحث والتحقيق ، وانقطع عن قول الشعر ، بل إنه لم يكترث به بعد قصيدته القوس العذراء التي تعد من روائع شعره ؛ كما أشاد بذلك كبار النقاد والباحثين ، مثل الدكتور إحسان عباس ، والدكتور محمد أبو موسى .

ولم ينشر من شعره في حياته سوى النزر اليسير في بعض المجلات المصرية ؛ مثل السياسة الأسبوعية ، والرسالة ، والزهراء ، ويبدو أنه لم يكن يرغب في نشر كل ما لديه من الشعر ، أو لم يقدمه للنشر ، أو أنه انشغل عنه بغيره من الأعمال العلمية والتحقيق .

ولا بد من الإشارة إلى أن موهبة الشعر لم تكن طارئة لديه ؛ بل إنها تمثل بداية نبوغه الأدبي ، إذ بدأت عنده هذه الموهبة منذ وقت مبكر في مراحل حياته ، فقد كانت له محاولات شعرية أيام الصبا وهو في الحادية عشرة أو الثانية عشرة من عمره ، ولكنه لم يحتفظ بشيء من الشعر في هذه المرحلة ، بل مزقه كما أشار في مقابلة معه في مجلة الأدب الإسلامي العدد السادس عشر من المجلد الرابع سنة ١٤١٨هـ ص٦ ؛ حيث تفتحت قريحته في مجال قرض

الشعر وعمره آنذاك لم يتجاوز السادسة عشرة، فقد نظم عام ١٩٢٥ سبعة أبيات دوّنها على صورة له أهداها إلى صديق اسمه توفيق ، كما جاء في السطر الذي مهد به للأبيات وأرّخه في يونيه سنة ١٩٢٥ ، وهو قد ولد عام ١٩٠٩ ، فيكون عمره حين قال ذلك الشعر ستة عشر عاماً ، ومطلع الأبيات :

صاح فانظر إليّ في فلق الصبح ودع نظـرة الهـوى في الفـؤاد

وأول قصيدة نشرت له في مجلة الزهراء التي يرأس تحريرها محب الدين الخطيب عام ١٩٢٦م وهي بعنوان (يوم تهطال الشجون) ، وتقع في خمسة وثمانين بيتاً .

وقد واصل خوض غمار الشعر ناظماً وناقداً ومحيطاً بتراث العرب الشعري عبر عصوره المزدهرة ، حتى وصل بذلك إلى أعلى المراتب ، وتسنم الذروة ، وأصبح فارساً في هذا المضمار لا يشق له غبار ، يتأمل بعين الناقد البصير ، ويتذوق بوعي النِّطَاسيّ الخبير ، شهد له بذلك أساطين الأدباء والنقاد ، ولا غرو في ذلك ؛ فقد أفصح بلسانه عن هذا الواقع المشهود حين استعاد وعيه بعد الفترة المعتمة التي مرّ بها وهو في السابعة عشرة من عمره سنة ١٩٢٦م إلى أن بلغ السابعة والعشرين سنة ١٩٣٦م حيث أدرك أنه كان منغمساً في غمار حياة أدبية فاسدة من كل وجه ، ثم انعتق من ذلك كله سالكاً النهج اللاحب في وعيه بالشعر ودراسته قائلاً (ويومئذ طويت كل نفسي على عزيمة حذّاء ماضية : أن ابدأ وحيداً منفرداً رحلة طويلة جداً ، وبعيدة جداً ، وشاقة جداً ، ومثيرة جداً . بدأت بإعادة قراءة الشعر العربي كله ، أو ما وقع

تحت يدي منه يومئذ على الأصح ، قراءة متأنية طويلة الأناة عند كل لفظ ومعنى ، كأني أقلبها بعقلي وأروزها بقلبي ، وأجسها جساً ببصري وبصيرتي ، وكأني أريد أن أتحسسها بيدي ، وأستنشي (أي : أشم) ما يفوح منها بأنفي ، وأسمع دبيب الحياة الخفي فيها بأذني ، ثم أتذوقها تذوقاً بعقلي وقلبي ، وبصيرتي وأناملي وأنفي ولساني ، كأني أطلب فيها خبيئاً قد أخفاه الشاعر الماكر بفنه وبراعته ، وأتدسّس إلى دفين قد سقط من الشاعر عفوًا أو سهواً تحت نظم كلماته ومعانيه دون قصد منه أو تعمد أو إرادة[1] .

ومن يتأمل كلامه هذا يدرك تمام الإدراك أنه أمام نابغة من نوابغ الزمان في الإحاطة بأشعار العرب من جميع أقطاره ، ويبدو ذلك واضحاً جلياً لكل من تتلمذ عليه وخالطه وجالسه واستفاد من علمه الغزير بالشعر العربي ، وإذا أردت البرهان على ذلك فما عليك إلا أن تستفسر عن شيء فيما يتعلق بالشعر ومعانيه فتجد الجواب الشافي حاضراً ، وإن رجعت فيما بعد إلى بعض المصادر التي تعرفها وتتناول ما سألت عنه تجد أن ما سمعته منه هو عين ما تقرأه أو تقف عليه في المصادر والمراجع .

وقد أدركت هذا يوم أن كنت في مرحلة الدكتوراه بجامعة الأزهر وكان موضوع الرسالة « تحقيق حماسة أبي تمام ودراسة لشروحها » وكانت تواجهني في عملي بعض الإشكالات في قراءة بعض الأبيات ، فأذهب إليه قاصداً الاسترشاد برأيه ، والإفادة من علمه ؛ فأجد لديه من الجواب الشافي ما يطفئ الغلة ، ويريح كبد الصادي إلى المعرفة الحقة ، ويشبع نهم المتلهف إلى الرأي

---

(١) رسالة في الطريق إلى ثقافتنا ص٦ .

السديد والقول المفيد ، وكثيراً ما كنت أحمل في جعبتي بعض الأبيات التي تصادفني فيها بعض المشكلات ؛ فيأخذ في تأملها بعين النِّطَاسِيِّ الحاذق ، ثم يفصح بما قدح في محيط علمه ودرايته من علم قائلاً (هي كدا هي كدا) أي هكذا ، وربما ذهب إلى بعض المصادر لتأكيد ما توصل إليه .

وعود على بدء - والعود أحمد - تتجدد وتتأكد لدي ولدى غيري هذه الموهبة الراسخة ، والبصيرة النافذة الملمة بأشعار العرب وما تنطوي عليه من دقائق ومعان ، وذلك حين تيسر لي بفضل الله أن أقوم بإعادة تحقيق كتاب الوحشيات لأبي تمام أو الحماسة الصغرى ، وكان قد قام بتحقيقه العالمان الجليلان ، والمحققان البارعان العلامة عبد العزيز الميمني ، وأستاذي العلامة محمود محمد شاكر ، على نسخة من مكتبات تركيا وصفاها بكثرة التصحيحات والأخطاء ، وبذلا في تحقيقها جهداً واضح المعالم والقسمات ؛ في التصحيح والتحقيق والتوثيق والتعليقات .

وقد يسّر الله لي العثور على نسخة أخرى محفوظة في مكتبات إيران مما حفزني على إعادة النظر في الكتاب في ضوء هذه النسخة ؛ فوجدت أن الأمر يدعو إلى قيامي بقراءة الكتاب وإعادة تحقيقه ، وفي أثناء ذلك وقفت على تعليقات عديدة للعلاّمة محمود شاكر يصوب فيها ما قد يظهر له من أخطاء وتحريفات في المخطوطة ويسطر ذلك بقوله (وأرجح أن قراءتها ...) وفي أثناء مقابلتي المطبوعة بالنسخة المخطوطة الأخرى كنت أجد أن ما رجحه هو عين ما جاء في النسخة الأخرى وكأنه اطلع عليها ، أليس في ذلك دليل ساطع وبرهان قاطع على أننا أمام نادرة من نوادر الزمان يأتي إليه الشعر طائعاً مختاراً ،

ينثر كنانه بين يديه نظماً ودراسة وتحقيقاً ، وتفسيراً وتوضيحاً واستنتاجاً ، يغوص به إلى الأعماق لاستخراج الدرر واليواقيت الثمينة .

ولعل صدى هذه العبقرية التي يمكن أن أطلق عليها عبقرية البصر بالشعر تنتقل وتنغرس في وعيه ، فينطلق فيها شاعراً مبدعاً متألقاً ، تسنم المكانة العالية والمنزلة الرفيعة عند جهابذة الأدب والنقد والبلاغة ، الذين أداموا النظر في شعره ، وأفصحوا عن إعجابهم وإشادتهم به .

فهذا سيد صقر نجده في معرض حديثه عن تحقيق كتاب طبقات فحول الشعراء يقول : « وأما شارح الكتاب ؛ فإني أعرفه غزير المادة قوي الذاكرة ، وناقداً ثاقب الفكر ، ألمعي النظر ، بصيراً بأسرار اللغة ووقائعها ، خبيراً بعلوم العرب ومعارفها ومنازعها ؛ في بيانها وتبيينها ، وسننها في منظومها ومنثورها ، وهو إلى ذلك كاتب قدير ؛ تلمح فيما تدبجه يراعته أصالة الرأي ، وصدق الحس ، ووضوح العبارة ، ونصاعة المحجة ، وقوة التصور ، وفحولة التعبير ، وشعره كذلك رائع ؛ تلمس فيه فورة الشعور ، وثورة العاطفة ، وذكاء القلب ، واشتعال الفكر ، والتمرس البصير بأشعار الفصحاء من القدماء »[(١)] .

وتحدث الدكتور محمد أبو موسى عن قصيدة محمود شاكر (القوس العذراء) فوصفها بأنها : « رائعة فذة ، تعد من فرائد العصر ، نشر فيها ما طواه الشماخ ، وأضمره وفصّل وأضاف ، وأكمل حتى صارت هذه القصيدة أحفل وأشمل »[(٢)] .

---

(١) من كلمة السيد صقر عن طبقات فحول الشعراء في مجلة الكتاب المجلد ١٢ ، مارس ١٩٥٣م ص٧٧٩ .

(٢) القوس العذراء وقراءة التراث ص٢٦ .

ويقول أيضاً : وللأستاذ شاكر قدرة عجيبة على تركيز المعاني في ألفاظ قلائل ؛ حتى لترى الكلمة الواحدة ترمى بفضل من المعاني والصور والأحداث والأحوال[(١)] .

وقبل ذلك كله وفَورَ نشر القصيدة تحدث عنها الأستاذ عادل الغضبان في مجلة الكتاب ، ووصفها بأنها ملحمة شعرية فريدة في بابها ، تحتل مكانها من الشعر الإنساني الخالد .

وأشاد الدكتور إحسان عباس بإبداع محمود شاكر في قصيدته (القوس العذراء) فيما كتبه عنها ضمن كتاب دراسات عربية وإسلامية[(٢)] .

وحينما تحدث الدكتور عبد العزيز الدسوقي عن كتاب محمود شاكر (المتنبي) أفصح عن شاعريته قائلاً : كان في الثلاثينيات والأربعينيات ملء السمع والبصر ؛ شاعراً عميق التجربة الشعرية[(٣)] .

أليس فيما أشرت إليه ، وتحدثت به دليل ساطع وبرهان قاطع على أننا أمام نادرة من نوادر الزمان في عالم الشعر ، يأتي إليه الشعر طائعاً مختاراً ، ينثر كنانته بين يديه نظماً ودراسة وتحقيقاً ، وتوضيحاً وتفسيراً واستنتاجاً ، يغوص في أعماقه لاستخراج درره ويواقيته الثمينة .

ومن يتأمل شعره يجده مرآة تعكس ما يضطرم في نفسه من آمال وآلام ، وما يعتمل في وجدانه من أحاسيس ومشاعر جياشة تدور في فلك ذاته ، وتنطلق منها تجاه الحياة والناس ، وترسم بجلاء معاناته في نفسه وفي مجتمعه ،

---

(١) القوس العذراء وقراءة التراث ص ٢٦ .

(٢) دراسات عربية وإسلامية ص ٣-١٥ .

(٣) مقال المتنبي بين محمود شاكر وطه حسين مجلة الثقافة العدد ٥٢ يناير ١٩٧٨م .

وما عايشه من شك وألم وحيرة في فترة من فترات حياته ، وقد مرّ فيها بفترة حب لم تكتمل ، وكان لها وقع في نفسه عبّر عنها في شعره ، ويبدو ذلك واضحاً من قصائده التي كانت تنشر في مجلة السياسية الأسبوعية ، ومجلة الزهراء ، والرسالة ، والمقتطف ثم ضمها ديوانه (اعصفي يا رياح) ، الذي قام بجمعه ابنه الدكتور فهر محمود شاكر ، وقدم له وشرحه الأستاذ الدكتور عادل سليمان جمال ، ومنها قصيدة : نفثة قديمة ، وانتظري بغضي ، وحيرة ، وعقوق ، وألست التي ، ورماد ، اذكري قلبي ، وقصيدته الرائعة (لا تعودي) التي نستشف من خلالها صورة الصراع بين سطوة الحب ، والاكتواء بلوعته ، وبين التمرد على سلطانه في لحظات الإحساس بالجفاء والغدر والخيانة ممن أحب وأبت كبرياؤه أن يخضع لذل الحب ومهانته مع انجذاب عواطفه نحوه يقول :

لا تعودي .. أحرق الشك وجودي .. لا تعودي

إذهبي ما شئت .. أنى شئت في دنيا الخلود

واتركي النار التي أوقدتها تقصم عودي

هي برد وسلام يتلظى في برودي

فاسعدي في شقوة الروح .. ولكن لا تعودي ![1]

وختمها بقوله :

فأنا النار .. وكالنار ارتيابي واشتعالي

لا أبالي .. فاذهبي إن شئت .. لكن .. لا تعودي

(١) ديوانه (اعصفي يا رياح) ص١٦٦ .

ومنها قصيدته نفثة قديمة التي نشرها في مجلة المقتطف في يناير عام ١٩٣٦ وتمثل بداية البوح بأحاسيس الحب[١] ، ثم قصيدته (انتظري بغضي) وهي التي أعلن منها التمرد على أغلال الحب لمن شيمتها الغدر ، واستحقت أن يخاطبها في نهاية القصيدة بقوله :

تصامَمْتِ عن قلبي ورمت مساءتي ... وتنتظرين الحب انتظري بغضي[٢]

❋ ❋ ❋

---

(١) ديوانه السابق ص١٩٣ .

(٢) ديوانه السابق ص١٩٤ .

نظرات في الحجازيات

استهل الديوان بمقطوعة عنون لها (يوم الرحيل) وبث فيها أحاسيسه عن هذا اليوم من ألم الفراق وغصص البين ، وهو يغادر أهله ووطنه وأحبابه إلى وجهته نحو الحجاز يقول فيها :

كُـلُّ عَـينٍ تَبْكِـي وَكُـلُّ فُـؤَادٍ خَـافِقٌ إِثْـرَ رُفْقَـةٍ وَخَلِيـلِ
وَدَّعُـوا وَالرَّحِيـلُ دَاعٍ إِلَـى البَيْـنِ فَـوَدُّوا أَنْ يَظْفَـرُوا بِالرَّحِيـلِ
رَغِبُـوا إِذْ أَذَاقَهُـمْ غُصَـصَ البَيْـنِ أَذَاقُـوهُ غُصَّـةَ المَقْتُـولِ

ويواصل التعبير عن لواعج الفراق والبين في قصيدة طويلة يخاطب بها الحبيب عبد السلام محمد هارون ، وهي مهداة له بعنوان (الذكرى بعد البين) ومطلعها :

أَلَسـتَ تَرَانِـي وَالفِـرَاقُ مُضَـاجِعِي يَجِدُّ فَيَكْسُونِي الدُّمُوعَ البَوَالِيَا ...

ويعبر فيها عن عرى الصلة الوثيقة بينهما؛ حيث يلتقي القلبان في صفاء وود ومحبة غير آبهين بمن يحاول أن يكدر هذا الصفاء وذلك في صورة بديعة حيث يقول:

فَقَلْبُكَ فِي قَلْبِي ، وَنَفْسُكَ تَنْضَوِي لِنَفْسِـي وَقَـدْ سَـاءَ الـوِدَادُ الأَعَادِيَـا
يُقَبِّـلُ قَلْبِـي قَلْـبَ مَـنْ قَـدْ هَوِيتُـهُ فَنَسْـمَعُ مِـنْ بَـيْنِ الضُّـلُوعِ المَثَانِيَـا
وَلاَ تَجِـدُ الأَكْـدَارُ بَـينَ قُلُوبِنَـا طَرِيقًـا تُزَجِّـى فِيـهِ ضِغْنًا وَوَاشِـيَا

ويظل ينفث ما في صدره تجاه الغواني فيقول من القصيدة رقم (٣)

هُـــنَّ فِـــي الكَيْـــدِ وبِالكَيْـــــدِ يُمَـــاطِلْنَ مُنَانَـــا
وَإذَا مَـــا أَزْمَـــعَ الجِـــــدُّ فَقَـــدْ حَـــلَّ جَفَانَـــا
لَـــيسَ لِلغِيـــدِ عُهُـــودٌ هُـــنَّ أَشْـــبَهْنَ الزَّمَانَـــا

وتهتاج الذكريات في زمن الغربة وتستيقظ لواعج الشوق في القلب فيبوح قائلاً :

لا تَخُـــنْ وُدِّي كَفَانَـــا الدَّهْــــرُ خُوَّانَـــاً كَفَانَـــا
لَيـــتَ قَلْبِـــي لَـــم يَـــذُبْ وَجْــــدًا وَلَـــم يَغْـــنَ حَنَانَـــا
حَسْـــبُهُ مِمَّـــا لَقَـــى فِـــي الـــوُدِّ ذُلاً وَهَوَانَـــا

آهِ ! يَـــا قَلْبِـــي ! لَقَـــدْ زِدَّتَ بِجَنْبِـــي خَفَقَانَـــا
آهِ ! يَـــا قَلْـــبُ ! تَحَـــدَّثْ قَـــدْ أَقَلْنَـــا ذَا اللِّسَـــانَا

وتتعالى نبرة الشكوى من الإحساس بالغربة والوحدة ، ويخيم الحزن وتتوارد الهموم كما يبدو من قصيدته التي استهلها بقوله :

وَالِـــهٌ يَتَّقِـــي الـــرَّدَى بِجَانِـــهْ فَـــانْطَوَى قَلْبُـــهُ عَلَـــى أَحْزَانِـــهْ
كُلَّمَـــا هَـــمَّ بِالتَّسَـــلِّي أَتَتْـــهُ زُمَـــرٌ تَعْتَـــدِي عَلَـــى سُـــلْوَانِهْ

إلى أن يقول :

يَـــا هُمُـــومِي أَلَـــذَّةٌ لَـــكِ تُقْضَـــى فِي سَمَاعِ الشَّجِيِّ مِنْ أَلحَانِهْ ...
تَقْتَضِـــي مِحْنَتِـــي ، وَطُـــولَ سُـــهَادِي وَاعْتِكَـــافِي عَلَـــى الأَسَـــى وَدِنَانِـــهْ !؟

وله قصيدة تنطوي على أبيات عديدة هي من قبيل الحكم منها قوله :

كُلُّ مَنْ يَمْشِي عَلَى قَدَمٍ ... لَيس يَدْرِي مُنْتَهَى ظَعْنِهْ

نُورُ مَنْ يَسْعَى إِلَى أَمَلٍ ... صَبْرُهُ المُنجِيهِ مِنْ غَبْنِهْ

وفي نهاية هذه القصيدة أبيات تنطلق بأحر الأشواق والحنين إلى وطنه بعد أن تغرب عنه في الحجاز فيقول :

هَذِهِ الأَلْفَاظُ شَارِدَةٌ ... مِنْ أَخِي شَجْوٍ إِلَى سَكَنِهْ

رُوحُهُ فِي مِصْرَ مُوثَقَةٌ ... وَالنَّوَى قَدْ حَلَّ فِي بَدَنِهْ

لَيسَ مَنْ يَبْكِي حُشَاشَةً ... مِثْلُ مَنْ يَبْكِي عَلَى وَطَنِهْ

ويتكرر هذا المعنى في قصائد عديدة من أشعار الديوان مثل قوله :

لَسْتُ أَبْكِيكَ بِالدُّمُوعِ الهَوَامِي ... بَلْ بِدَمْعِ الهُمُومِ وَالأَشْوَاقِ

مَا تَرَاهَا تَجْرِي عَلَى الخَدِّ ... لَكِنْ ... جَرْيُهَا فِي الفُؤَادِ وَالآمَاقِ

هَلْ دَرَى البَيْنُ أَنَّ قَلْبِي مُعَنًّى ... وَأَسِيرٌ بِمِصْرَ فِي أَطْوَاقِ

وفي هذه الأبيات إبداع واضح في تصوير البكاء ، وانسكاب الدمع فليست العين هي التي تهمي الدموع ، وإنما هي الهموم والأشواق ، ودموعها تجري منسابة في الفؤاد والآماق من شدة ما تلاقي متجاوزة حدود الخدود .

ويبدو أن جلّ قصائد الديوان تصب في اتجاه الحنين إلى الوطن والشكوى من الغربة ، ولم يخل الديوان من أحاسيس الشاعر ومعاناته مع حالة الحب التي مر بها في فترة الشباب من حياته إلى جانب البوح بما يتحلى به من شيم وسجايا مثل قوله :

أُحِبُّ الوَفَاءَ ، وَأَقْلَى الجَفَاءَ ، وَلا أَسْتَطِيبُ انْتِزَاعَ اليَدِ

إِذَا أَنَا أَحْبَبْتُ مَنْ رَاقَنِي ... بَذَلْتُ لَهُ مُهْجَةَ المُفْتَدِي

والحب العميق لا يؤثر فيه ما قد يعكر صفوه أو يعصف به :

فَلا كُنتُ !! إنْ كَانَ حُبِّي عفاً يطيرُ مع العاصِفِ المُبعِد

وفي هذا السياق وصف الحسناء التي تسكن خياله فقال :

رُبَّ حَسْنَاءَ لَم تَذُقْ أَلَم العَيْـ ـشِ ، ولَم يأْتِها علَى اللّين كَدُّ ...

دَخَلَتْ رَوضَةً فَغَنَّتْ طُيُورٌ وذَوَى نَرْجِسٌ وَأنْضَرَ وَرْدُ ...

ذَاتُ عَينٍ مَرِيضَةِ الطَّرْفِ وَسْنَى وَجَبِينٍ يُضِيءُ وَاللَّيلُ فَرْدُ ...

وَبَنَانٌ رَخْصٌ ، وَزَنْدٌ رَوِيٌّ وَنُهُودٌ بِمَن يَرَى تَسْتَبِدُّ ...

وفي أبيات منها يصور واقعه في غمرة التظني يقول :

مَاتَ قَلْبِي ، وَذَوَتْ آمَالُ نَفْسِي فِي التَّظَنِّي

صَوَّحَ الرَّوْضُ وَقَدْ فَرَّ نَدِيمُ النَّفْسِ مِنِّي

وَغَدَتْ كَأْسِي رُفَاتاً وَأَتَى التَّحْطِيمُ دَنِّي

كُنْتُ أَبْنِي ... ! ثُمَّ لَم أُلْفِ بِنَاءً كُنْتُ أَبْنِي

لَيتَنِي لَم أُنْفِذِ العَزْمَ ... وَلَكِنْ ... لَيتَ أَنِّي

ثُمَّ لَم أَجْنِ سِوَى الأَتْعَابِ وَالسُّقْمِ المُبِنِّ

وهو جلد يصمد أمام ما يواجهه من أكدار الحياة ومصاعبها ، ونفسه العفيفة لا ترضى بالدنية :

وَقَدْ كُنْتُ جَلْداً لا أَلِينُ لِغَامِزٍ وَلِي بِمُلِمَّاتِ الأُمُورِ يَدَانِ

أَعَفُّ عَنِ الشَّيءِ الدَّنِيءِ تَرَفُّعاً وَأَثْبُتُ تَحتِي هِزَّةُ الرَّجَفَانِ

وتتوالى في شعره نبرة الحكم التي هي صورة ناطقة بما يعتمل في نفسه من مشاعر وأحاسيس في زمن الغربة كما جاء في قصيدته (منطق الأشواق) وقد استهلها بقوله :

تعَال نمِلْ والشَّوق حيثُ يميل ‏ ‏ فإنَّ حديثَ النَّازحينَ طويلُ

ويلاحظ في هذا البيت أن الشاعر عبّر عن رحيله من مصر إلى الحجاز بالنازح ، وفي هذه اللفظة دلالة تحمل في طياتها التعبير عن واقعه النفسي ، وحالة عدم الاستقرار ، والحنين إلى أول منزل ؛ فمن يخرج من وطنه بصفة نازح يعني أنه ما عمد إلى ترك بلده ونزح عنه إلا اضطراراً ، وأن ثمة أموراً أقلقته ودعته وألجأته إلى ذلك النزوح ، وهذا ما حدث ؛ فقد أراد الشاعر أن يبتعد عن واقع المحيط الثقافي والأدبي ، وما يعج به من صراعات وفساد في الحياة الأدبية والثقافية كما يراه ، فآثر الرحيل من مصر إلى الحجاز لعله يجد السكون والراحة مما كدّر صفوه في ذلك المحيط . ويبدو أن هذا التعبير بالنزوح مما اختاره الشاعر لنفسه في هذه الظروف ، فقد كتب أبياتاً على صورة له ، وبعث بها من الحجاز إلى ابن خاله الأستاذ عبد السلام محمد هارون موقعة بقوله أخوك النازح محمود محمد شاكر ومطلعها :

لَسْتُ أَبْكِي وَلَسْتُ أَجْزَعُ لِلبَيْنِ ‏ ‏ وَلَكِنْ هَوَاكَ مِلْءُ الفُؤَادِ

وهاجس الغربة والحنين يكاد يطغى على جل قصائد الديوان ، ومن ذلك قصيدته التي مطلعها :

لَهُمْ شَأْنُهُمْ وَلَهُ شَأنُهُ ‏ ‏ وَقَدْ هَدَّ فِي القَلْبِ سُكَّانُهُ

وفي إحدى القصائد عبّر عن الواقع المرير الذي تعيشه بلاده مما حدا به إلى مغادرته يقول :

ضربوا البلاد بسوط عاد جائر ‏ ‏ نَدِس الطباع مُذمّم الأوصاف

وتشدقوا بالعدل في أقوالهم ‏ ‏ والعدل هَمٌّ يلوذ بالأشعاف

حسبوا الهوان يلذّ طعم مذاقه ولسوف تدنو لُجّةُ الرجّاف

غادرتُ أوطانَ الشباب حميّةً والغمد ليس يلذّ للأسياف

وحين حل الشاعر ضيفاً كريماً على جدة كان بحاجة ماسّة إلى من يواسيه في غربته وينسيه همومه ، وما أقسى لوعة الغربة مع فقد المواسي ، غير أن الأمل في الظفر به كان حاضراً ، فقد أنس إلى شخص عزيز عليه وجد فيه المواسي ، وَمَنْ يبثه همومه مع الإشفاق عليه من البوح بكل ما تنطوي عليه النفس منها ، ولا سيما أنها هموم متراكمة تعايشه مدى الحياة يقول :

لَسْتُ أَبْكِي مِنَ الفِرَاقِ وَلَكِنْ يَسْتَثِيرُ الدُّمُوعَ فَقْدُ المُوَاسِي

لَيسَ لِي غَيرُ وَاحِدٍ قَد رَعَى حُبِّـ ـي ، وَأَوْلَى الفُؤَادِ بِالإِينَاسِ

غَيرَ أَنِّي لا أَسْتَبِيحُ لِنَفْسِي أَنْ أَبُثَّ الهُمُومَ فِي الأَنْفَاسِ

لَو قَضَيتُ الحَيَاةَ أَشْكُو إِلَيهِ مَا بِقَلْبِي ، لِمَا انْقَضَى مَا أُقَاسِي

أَنَا أَخْشَى عَلَيهِ مِنْ ثَقْلَةِ الدَّا ءِ وَأَخْشَى أَنْ يَرْتَدِيهِ لِبَاسِي

ولعل هذا الشخص الذي وجد فيه المواسي هو حسين نصيف ، كما يبدو من القصيدة التي تليها ، والتي تحمل عنوان حسين نصيف ، وكذلك آخر قصيدة من الديوان ، وهي تحمل مشاعر الوادع لصديقه حسين نصيف ، وهو من أسرة كريمة في جدة ؛ أسرة علم وفضل ، أَنِسَ بها الشاعر ووجد عندها كرم الضيافة والترحاب ، ويوحي بذلك تمهيد الشاعر للقصيدة بقوله (في بوادر الفراق ... حسين) وفيها يخاطب صديقه حسين قائلاً :

إِنْ نَأَتْ دَارُنَا (حُسَينُ) فَقَدْ كَا نَ التَّدَانِي بِالأَمْسِ شِيمَةَ أَمْسِ

فَاذْكُرنِي حُسَينُ حِينَ مَغِيبِي إِنَّ هَذِهِ الذِّكْرَى لَتَبْلُغُ حِسِّي

وتتأكد هذه العلاقة الحميمة بين الشاعر وبين حسين نصيف من خلال ما جرى به قلمه حين كتب تعريفاً بكتاب ماضي الحجاز وحاضره من تأليف الأستاذ حسين بن محمد نصيف ، ونشر هذا التعريف في مجلة المقتطف ، المجلد ٨٢ ، في أكتوبر عام ١٩٣٣م ، وفيه يقول : (كان غيري أحق بالكتابة عن هذا الكتاب ؛ فإن للأخ حسين ووالده عندي نعماً مشكورة ما بقيت ، وإنّ الصداقة التي بيني وبينه لتجعل بعض أخطائه في نفسي بمنزلة من الصواب ، وكان كتابه هذا تاماً أيام أن كنت في الحجاز) .

❋ ❋ ❋

الحجازيات

يعد هذا الديوان من بواكير شعر العلامة محمود محمد شاكر ؛ فقد جادت قريحته بقصائده إبان إقامته في الحجاز وفي مدينة جدة على وجه التحديد ، التي أقام فيها عشرة أشهر تقريبًا امتدت من ١٩ ربيع الأول عام ١٣٤٧هـ ، ٣ سبتمبر عام ١٩٢٨م ، إلى ٢٧ ذو الحجة عام ١٣٤٧هـ ، ٦ يونيه عام ١٩٢٩م ، كما يفهم من القصائد المؤرخة في الديوان ، وأولها قصيدته التي أرخ لها يوم ١٩ ربيع الأول عام ١٣٤٧هـ ، ٣سبتمبرعام ١٩٢٨م ومطلعها :

رُبَّ خِـــلٍّ لَـــكَ إِنْ مِلْـــتَ إِلَـــى الهَجْــرِ تَـــدَانَى

وآخرها قصيدته التي ودع فيها صديقه حسين نصيف ، وأرخ لها يوم ٢٨ ذو الحجة عام ١٩٢٩م جدة .

ومن هنا يتحدّد الإطار الزمني الذي قيلت فيه قصائد الديوان ، على النحو الذي توصلت إليه من خلال القصائد المؤرخة في الديوان ، على أن التحديد الذي عرض له الباحثون ، ومن ألف عن الشاعر جاء عندهم غير دقيق وشبه مبهم ، وكلهم تقريبًا يردد ما جاء في كتاب دراسات عربية وإسلامية من أنه ذهب إلى الحجاز عام ١٩٢٨م ، وما لبث أن عاد في أواسط عام ١٩٢٩م[1] .

(١) دراسات عربية وإسلامية ص ١٤ ، وتردد هذا التحديد عند الأستاذ محمد إبراهيم الرضواني في كتابه محمود شاكر والدرس الأدبي والتحقيق ص ٢١ ، وعند الأستاذ عمر حسن القَيَّام في كتابه محمود شاكر الرجل والمنهج ص ٤٨ ، وكذلك عند الدكتور إبراهيم الكوفجي في كتابه محمود شاكر سيرة أدبية ص ٤٩ .

ومن الملفت للنظر في هذا الشأن تقدير الأستاذة : عايدة الشريف أنه أقام في الحجاز عامين وفق استنباطها ، وما أشارت إليه يبدو غير دقيق ، ويبتعد كثيرًا عن التحديد الذي ذكرته سابقًا واستنبطته من تواريخ بعض القصائد في ديوان الحجازيات[1] .

ويضم الديوان بين جنباته ستًّا وأربعين قصيدة ومقطوعة ، وبعض القصائد طويلة تصل إلى ستة وأربعين بيتًا ؛ مثل قصيدة : (ضمي إليك الكبد المحرقا) ويليها في الطول قصيدة (منطق الأشواق) في ثلاثة وأربعين بيتًا ، ثم قصيدة (الذكرى بعد البين) في تسعة وثلاثين بيتًا ، ثم قصيدة (واله يتقى الردى بجنانه) في ستة وثلاثين بيتًا ، ثم قصيدة (البعاد والهجر) في خمسة وعشرين بيتًا .

أما المقطوعات فتتراوح بين بيتين وثلاثة أبيات ، وتوشحت القصائد منتظمة بقلائد وأسماط من بحور الشعر ؛ جلها من البحور المطروقة لدى الشعراء بكثرة ، مع شيء من التفاوت بينها قلة وكثرة ؛ فنجد في الديوان من هذه البحور : الخفيف ، والطويل ، والبسيط ، والرمل ومجزوءه ، والكامل ، والمتقارب ، والمديد ، وخارج هذا النطاق جاءت في الديوان قصيدتان على نظام الموشحات وهما القصيدة رقم ١٢ ، وعنوانها (صورته) ومنها قوله :

ضُـمِّي إِلَيْـكِ الكَبِـدَ المُحَرَّقَـا   في الجوَى
وَاحْمِلِـي عَنِّـيَ قَلْبـاً أُغْرِقَـا   في الهوَى

والقصيدة الأخرى رقم (٢٢) ومنها قوله :

---

(١) محمود محمد شاكر قصة قلم لعايدة الشريف ص ٦٨ ، ٧١ ، ١٤٤ .

أَصَــابَ مِنْــهُ غَفْلَــةَ الغَافِــلِ فَسَدًا

وَأَطْلَــقَ السَّــهْمَ عَلَــى الخَــاذِلِ فَأَقْصَدَا

أما حروف القافية في الديوان فهي: الهمزة ، والباء ، والحاء ، والدال ، والراء ، والسين ، والعين ، والفاء ، والقاف ، واللام ، والميم ، والنون ، والهاء ، والياء ، وهذه الحروف جاءت في الغالب منسجمة مع إيقاع الوزن ، ولا تكلف فيها .

وسلك الشاعر في ديوانه نهجًا علميًّا ؛حيث توج بعض القصائد بالتاريخ الذي ولدت فيه ، مشيرًا إلى اليوم ، والشهر ، والسنة بالتاريخ الهجري والميلادي ؛ فمثلاً قصيدته (منطق الأشواق) مؤرخة في ٢٧ شعبان ١٣٤٧هـ ٧ فبراير ١٩٢٩م ، وآخر قصيدة في الديوان (بوادر الفراق - حسين) مؤرخة في ٢٨ ذي الحجة ١٣٤٧ ، ٦يونيو ١٩٢٩م جدة .

ويلاحظ أنه جاء النص هنا على المكان الذي ولدت فيه القصيدة ، ولعله بذلك يشير إلى أن هذا التاريخ هو زمن الرحيل من جدة والعودة إلى الوطن ، وأبعد من ذلك نجد الإشارة إلى الجهة التي كان موجودًا فيها أو يسكنها الشاعر ساعة نظم القصيدة ، تم ذلك في القصيدة رقم أربعة المؤرخة في ١٩ ربيع الأول عام ١٣٤٧هـ ٣ سبتمبر عام ١٩٢٨م ، ومطلعها :

رُبَّ خِــلٍّ لَــكَ إِنْ مِلْــتَ إِلَــى الهَجْــرِ تَــدَانَى

حيث جاءت مذيلة بقوله : (الحجاز جدة كشك ميلباري) .

ولا ريب أن هذا النهج من التحديد الزماني والمكاني للقصائد يدل على مدى إدراك الشاعر لما له من قيمة علمية تفيد الباحثين والدارسين لشعره فيها

يتعلق بترتيب القصائد واستنتاج ما يلقي الضوء على مسيرتها ومسيرة قائلها، وهذا النهج قلما يلتفت إليه الشعراء ؛ إذ تأتي قصائدهم مرسلة بدون تاريخ .

ولم يخل الديوان من صور موحية وبيانية يمكن أن أفصح عن بعضها على سبيل المثال لا الحصر .

فمنها أن العلاقة القلبية مع الحبيب وثيقة العرى ، فقلباهما متصلان بفيض من مشاعر الحب وما أسعدهما في اللقاء ، حين يلتقي الواله المحب بمن يهواه في سعادة غامرة تطرب بها الضلوع التي تحتضن قلبيهما .

يُقَبِّلُ قَلْبِي قَلْبَ مَنْ قَدْ هَوِيتُهُ ... فَنَسْمَعُ مِنْ بَيْنِ الضُّلُوعِ المَثَانِيَا

وثَمَّ مشهد تختلط فيه مشاعر الأنس والحزن ؛ فمع قسوة ما يتنابه من الحزن وانسكاب الدمع إلا أن بارقاً من الأنس يلوح في الأفق ، مع أن الحزن غالب ، وقد أبدع الشاعر حين عبر عن لحظة السرور بالبرق ، ولحظة انسكاب الدمع في غمرة الحزن بالمزن يقول :

خَالِطٌ بِالدَّمْعِ ضِحْكَتَهُ ... فَهْوَ يَحْكِي البَرْقَ فِي مُزْنِهْ

وإذا خيمت عليه الهموم ، وأرخى الليل سدوله ؛ لم يكن له بد إلا أن يناجي نجوم السماء ، ويبثها ما يعتمل في نفسه من مشاعر الحب والشوق والحنين والبعاد ، فيخاطب النجوم قائلاً :

يَا نُجُومَ السَّمَا ! تَحِيَّةُ مُشْتَا ... قٍ ، بَعِيدٌ عَنْ خَيرِ خِلٍّ وَدُودِ

يَا نُجُومَ السَّمَا ! تَنَهُّدُ صَدرٍ ... أَيُّ صَدْرٍ !! وَأَيُّ قَلْبٍ جَلِيدِ !!

فَاحْمِلِيهِ إِنْ كُنْتِ مِمَّنْ يُسَلِّي ... مُولَعاً بِالحَنِينِ وَالتَّنْهِيدِ

يَحْسَبُ اللَّيلَ سِجْنَهُ بَعْدَمَا كَا ... نَ طَرُوبَ الأَلْحَانِ غَيرَ بَعِيدِ !!

وفي مشهد آخر يناجي صورة محبوبته ، أو من يحب ، ويبثها لوعة الجوى والهوى في موشحة بديعة منها قوله :

ضُمّي إليكِ الكبدَ المُحرَّقا في الجوى
واحملي عنّي قلباً أُغرِقا في الهوى
لوعةً أضرمتْ يا صورتَهْ في الفؤادْ

وقد أبدع الشاعر فيما نظمه من موشحات تعبر بجلاء عن مكنون نفسه ، وما صادفه فيها من لوعة الحب :

أَنْتَ يَا دَهْرُ وَلُوعٌ بالعَذَابْ وَالشَّتَاتْ
أَنْتَ إنْ لَم تَدَعِ الطَّبْعَ اللَّئِيمْ سأَحِنَّ فَأُحَنّ
مَنْ بَكَى فَوَفَاءً مَا بَكَى وَاشْتَكَى للحَبِيبْ

وتخلل الديوان أبيات تشي بما يختزنه الشاعر في وعيه من تجارب الحياة تأتي مجلوة في وعاء من الحكم التي تحيي الأمل في نفسه وفي كل نفس وتطرد اليأس :

كُلُّ مَنْ طَالَبَ الزَّمَانَ بِحَقٍّ عَارَضَتْهُ الأَغْرَاضُ وَالأَهْوَاءُ
غَيرَ أَنِّي أَرَى الحَيَاةَ وَإنْ كَانَتْ نُدُوبًا ، أَوْلَى بِهَا الإِغْضَاءُ
لا تَضِيعُ الجُهُودُ مَهْمَا اسْتُخِفَّتْ سَوفَ يَأْتِي يَومٌ بِهَا يُسْتَضَاءُ

ويصور حال المتلون في مشاعره تجاه الآخرين ، ومن يبطن خلاف ما يظهر ، ويبدو لغيره وكأنه حمل وديع في حين أنه في حقيقة أمره حية رقطاء يقول :

وَصَاحِبُ الغَدْرِ لا تَلْقَاهُ ذَا كَشَرٍ وَلَيسَ بِالعَابِسِ المُبْدِي ، وَلا الجَافِي
يَلِينُ كَالحَيَّةِ الرَّقْطَاءِ قَاتِلَةً بِالسُّمِّ مِنْ لِينِ أَنْيَابٍ وَأَعْطَافِ

ومثل هذا التصور مطروق عند الشعراء القدامى فمن ذلك قول عنترة بن شداد :

إنَّ الأفَاعِي وإنْ لانَتْ ملامِسُهَا عِنْدَ التَّقلُّبِ في أنيابهَا العطَبُ

وقول سديف بن ميمون :

لا يَغُرَّنْكَ مَا تَرَى مِنْ أُنَاسٍ إنَّ تحْتَ الضُّلوعِ داءً دويَّا

وقول أبي الطيب المتنبي :

إذَا رَأيتَ نُيُوبَ اللّيثِ بَارِزَةً فَلاَ تَظُنَّنَّ أنَّ اللّيثَ يبْتَسِمُ

ولغة الديوان بصورة عامة تتسم بالجزالة ، وتدل دلالة واضحة على أن ثقافة الشاعر اللغوية بعيدة الغور وواسعة الأفق ، بل تقف عنده على ظواهر لغوية واستعمالات معرقة في التراث اللغوي ، فمن ذلك على سبيل المثال لا الحصر كلمة (دَدَنه) وتأتي بمعنى : السيف الكهام والقطاع ، والديدن : العادة كما جاء في قوله :

إنْ كَسَاهُ مِنْهُ مَكْرُمَةً أتْبَعَ المَكْرُوهَ مِنْ دَدَنهْ

وكلمة (مُكْتَنع) وتأتي بمعنى الخاضع ، أو من دنا من الدّنية كما جاء في قوله :

خَاضِعٌ لِلنَّاسِ مُكْتَنِعٌ عَاكِفٌ دَهْراً عَلَى وَثَنِهْ

ومنها : (الشوى) في القصيدة رقم (٧) و(التصريد) في القصيدة رقم (٩) و(الأباعر الطلح) في القصيدة رقم (١٣) و(ذان) و(ساجي) في القصيدة رقم (١٤) و(القلة) و(الأوهد) في القصيدة رقم (١٥) وغير ذلك من الألفاظ التي تم تفسيرها في موضعها من الديوان ، وهناك بعض الظواهر والاستعمالات اللغوية التي لا تتأتى إلا من ضليع ومتبحر في كلام العرب وعلوم اللغة والنحو فمن ذلك (قرى الطارقيه) في قوله :

إذا هُــو عَرَّتْــهُ مِــن الــزَّادِ نَوبَــةٌ   قَرى الطَّارِقيه مِنْ دَمِ القَلْبِ صَافِيَا

والطارق من يأتي ليلاً ، و(هاتا) في قوله :

وَمَــا يُنْكِــرُ النَّــاسُ التَّشَــابُهَ بَينَنَــا   وَكَيــفَ و(هَاتَــا) رَنَّــةٌ وَعَويـــلُ

علق الشاعر على هذا الاستعمال بقوله : اعترض بعض الإخوان على قول (هاتا) بأن الصواب (هاتان) وشاهده قول كعب بن سعد الغنوي :

وَخَبَّرْتُمَــانِي أَنَّمَــا المَــوتُ بِــالقِرَى   فَكَيــفَ وَهَاتَــا هَضْــبَةٌ وَكَثِيــبُ

وذلك كله يؤكد سعة اطلاعه ووعيه بلغة العرب وأساليبها في الشعر والنثر إلى جانب عنايته الفائقة واهتمامه البالغ بالشعر الجاهلي دراسة وحفظاً واستيعاباً ، مما كان له الأثر الواضح في شعره من حيث الجزالة والأصالة ، وهذه العناية باللغة ليست غريبة عليه ، ذلك لأن اللغة العربية عنده هي وعاء المعارف جميعاً[١] ومنهجه في التذوق قائم على الإحاطة باللغة واستيعاب معانيها ، والدراية بأسرارها ويتضح ذلك حين ذهب (إلى أن بين تمام الإحاطة باللغة ، وقصور الإحاطة بها مزالق تزل عليها الأقدام ، ومخاطر يخشى معها أن تنقلب وجوه المعاني مشوهة الخلقة)[٢] .

أ.د/ عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان

---

(١) رسالة : في الطريق إلى ثقافتنا ص٢٦ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٧ .

- ١ -

يوم الرحيل

كُلُّ عَـينٍ تَبْكِـي وَكُـلُّ فُـؤَادٍ خَـافِقٌ إِثْـرَ رُفْقَـةٍ وَخَلِيـلِ
وَدَّعُـوا وَالرَّحِيـلُ دَاعٍ إِلَى البَيـ ـنِ فَـوَدُّوا أَنْ يَظْفَـرُوا بِالرَّحِيـلِ
رَغِبُـوا إِذْ أَذَاقَهُـمْ غُصَـصَ البَيـ ـنِ أَذَاقُـوهُ غُصَّـةَ المَقْتُـولِ

❋ ❋ ❋

- ٢ -

الذكرى بعد البين

إلى الحبيب (عبد السلام هارون)

أَلَستَ تَرَانِي وَالفِرَاقُ مُضَاجِعِي يَجِدُّ فَيَكْسُونِي الدُّمُوعَ البَوَالِيَا ...
وَيُوقِظُ مِنِّي الشَّوقَ بَعْدَ رُقَادِهِ وَيُحْيِي جَوًى يُعْيِي الطَّبِيبَ المُدَاوِيَا ؟!

أَلَا يَا شَقِيقَ النَّفْسِ هَلْ أَنْتَ مُلْحِدٌ وِدَادِي ؟! وَمَا اسْتَودعْتُ وُدَّكَ نَاسِيَا[(١)]
وَكَيفَ أَذُودُ الوُدَّ بَعْدَ وُرُودِهِ (فُؤَادًا كَرِيمًا) لَا يُجِيبُ المُنَادِيَا ؟!
إِذَا هُوَ عَرَّتْهُ مِنَ الزَّادِ نَوْبَةٌ قَرَى الطَّارِقِيهِ مِنْ دَمِ القَلْبِ صَافِيَا[(٢)]
أُعِدُّ دُمُوعِي وَهِيَ تَجْرِي حَفِيَّةً قِرًى لِضُيُوفِ الشَّوقِ تَأْتِي تَوَالِيَا
ذَكَرْتُكَ وَالذِّكْرَى تُهِيجُ البَوَاكِيَا وَأَصْبَحْتُ وَالذِّكْرَى دَوَائِي وَدَائِيَا

---

(١) ملحد : إما من اللحد : وهو ما يكون في القبر لدفن الميت ، أو من ألحد بمعنى مال وعدل ، والمعنى : هل أنت منكر ودي أو عادل عنه .

(٢) قرى الطارقيه : أي أن قلبه ينزف دمًا ، وكأنه يقدم لمن يحل به ضيافة من دم القلب .
والطارق : الذي يأتي ليلاً .

بُكَـائِيَ وَالأَيَّـامُ تَعْـدُو وَشِيكَةً وَفِي طَيِّهَـا تُخْفِـي الهَـوَى وَالأَمَانِيَـا

يَزِيدُ وَيَرْوِي ظَامِئَ الشَّـوقِ وَالهَـوَى وَيَـتْرُكُ آيَـاتِ الـوِدَادِ ضَـوَاحِيَا

بِهَـا يَهْتَـدِي السَّـارُونَ فِي دَارِ غُرْبَـةٍ فَتَجْمَعُنَا الأَشْجَانُ ، وَهْـيَ كَـمَا هِيَـا

عَجِيـبٌ بِأَهْـلِ البَـيْنِ أَيُّ قِيَافَـةٍ !! فَلَنْ يُخْطِئُوا بِالحَدْسِ مَـنْ كَـانَ نَائِيَـا

إِذَا مَـا تَلاقَـى نَائِيَـانِ بِشُـقَّةٍ مِنَ الأَرْضِ أَبْصَرْتَ العُيُونَ رَوَانِيَا[1]

وَفِي كُـلِّ ثَغْـرٍ لَفْظَـةٌ مُرْجَحِنَّـةٌ وَيَحْبِسُـهَا أَلَّا تُصِـيبَ المَرَامِيَـا[2]

إِذَا مَـا دَجَـا لَيْـلُ الهُمُـومِ رَأَيْتَنِـي كَمُـتَّهِمٍ قَاضِـيهِ سَـاءَ التَّقَاضِـيَا

فَـأَذْكُرُ أَيَّامًـا خَلَـونَ وَقَـدْ مَضَـتْ شَـبَابًا بِبَـذْلِ المُفْرِحَـاتِ مُوَاتِيَـا

وَكُنَّـا ضَـجِيعَيْ لَـهْوَةٍ وَغَـرَارَةٍ وَجِـدٌّ كَـمَا شَـاءَ الزَّمَـانُ جَوَارِيَـا

إِذَا مَا خَرَجْنَا نَنْهَبُ الـرَّوْضَ حُسْنَهُ وَكَـفٌّ بِكَـفٍّ يَعْقِـدَانِ المَسَـاعِيَا

نَرُودُ خِـلَالَ الـرَّوضِ نَقْبِسُ نَفْحَـةً مِنَ الرَّوْحِ وَالرَّيْحَانِ تُبْدِي الخَوَافِيَـا

---

(١) بشقة : الجهة من الأرض

(٢) مرجحنة : من ارجحن : مال واهتز .

فَقَلْبُكَ فِي قَلْبِي ، وَنَفْسُكَ تَنْضَوِي   لِنَفْسِي وَقَدْ سَاءَ الوِدَادُ الأَعَادِيَا
يُقَبِّلُ قَلْبِي قَلْبَ مَنْ قَدْ هَوِيتُهُ   فَنَسْمَعُ مِنْ بَيْنِ الضُّلُوعِ المَثَانِيَا
وَلا تَجِدُ الأَكْدَارُ بَيْنَ قُلُوبِنَا   طَرِيقًا تُزَجِّى فِيهِ ضِغْنًا وَوَاشِيَا
وَنُصْبِحُ وَالدُّنْيَا تَمُوجُ بِأَهْلِهَا   وَلَسْتَ تَرَى إِلَّا نُفُوسًا دَوَانِيَا

أَتَذْكُرُ إِذْ نَحْبُو إِلَى جِيزَةِ المُنَى   وَنَرْتَعُ ، وَالأَيَّامُ تُهْدِي الغَوَالِيَا
فَنَقْطِفُ مِنْ زَهْرِ الحِبَابِ وَنَجْتَنِي   جَنَى اللَّهْوِ يَحْمِينَا الخُطُوبَ العَوَادِيَا[1]
فَتَقْبِضُ مِن كَفِّي وَأَقْبِضُ رَاحَةً   لَهَا فِي عُرُوقِي هِزَّةٌ وَفُؤَادِيَا
وَيَرْقُبُنَا غَضُّ الوُرُودِ وَثَغْرُهُ   ضَحُوكٌ ، فَتُغْرِيهِ التَّحَايَا البَوَاقِيَا ...
كَأَنَّ بِهِ مِمَّا بِنَا مِنْ وَدَادَةٍ   فَيَطْرَبُ بَسَّامًا يَرُوقُ مَجَالِيَا

أَتَذْكُرُ بَيْتًا ضَمَّنَا تَحْتَ جُنْحِهِ   وَصَاحِبَةً نُولِيهِ مِنَّا المَلَاهِيَا
(أَبَا الفَضْلِ) إِذْ كُنَّا نَرُومُ لِقَاءَهُ   طَوَالَ اللَّيَالِي ، ثَمَّ ، طِبْنَ لَيَالِيَا ..

(١) الحباب : الحب والمحبة ، والحِب : العزيز .

إذا مَـا خَرَجْنَـا كُلُّنَـا مِـن دِيارِنَـا ... نُـوَلِّي وُجُوهَـا شَـطْرَهُ وَمَسَـاعِيَا ...

كَـأَنَّ بِـهِ رُوحَ القُلُـوبِ كَمِينَـةً ... تُجَاذِبُنَـا جَـذْبَ الفِـرَاقِ زِمَامِيَـا

فَنَرْعَى رِيَـاضَ العِلْـمِ وَهْـيَ مَرِيعَـةٌ ... تُـزَوِّدُ خَـيرَ الـزَّادِ مَـنْ كَـانَ رَاعِيَـا

وَمِـن ثَـمَّ عبـد المنعِمِ اقْتَـادَ صَـوتُهُ ... وَحُسْـنُ أَغَانِيـهِ النُّفُـوسَ العَوَاصِـيَا

فَـأَيْقَظَ فِيهَـا بَعْـضَ مَـا كَـانَ نَـائِمًا ... وَأَخْضَـعَ مِنَّـا بَعْـضَ مَـا كَـانَ آبِيَـا

يُغَنِّـي ... وَأَسْـتَارُ الظَّـلَام تُجِنُّنَـا ... وَفِي القَلْبِ نُورٌ قَدْ أَنَارَ الـدَّيَاجِيَا ![1]

بِحَسْـبِي ، فَقَلْبِـي لَا يُطِيـقُ زِيَـادَةً ... مِن الذِّكَرِ المَوْمُوقَةِ الذِّكْرِ مَا هِيَا ...[2]

سَـأَحْبِسُ مِـن هَـذَا المِـدَادِ بَقِيَّـةً ... فَهَـذَا دَمٌ أَرْخَصْـتُهُ كَـانَ غَالِيَـا

وَلَا تَحْسَـبِ الـوُدَّ القَـدِيمَ مُضَـيَّعًا ... فَـذِكْرُكَ يَنْـدَى مِـنْ جَفَـافِ لِسَـانِيَا

وإِنِّي لأَدْرِي مَـا بِقَلْبِـكَ مِـنْ هَـوَىً ... وَأَنْتَ ، شَقِيقَ النَّفْسِ ، أَدْرَى بِمَا بِيَـا

* * *

---

(١) تجننا : تسترنا .

الدياجيا : من دجا الليل : أظلم .

(٢) الموموقة : من ومق ، ومقه كورثه ومقًا ومقة : أحبه ، والموموقة الذكر : أي المحبوبة .

- ٣ -

البعاد والهجر[1]

كَـمْ حَبِيـبٍ أُوِدُّهُ ، نِلْـتُ مِنْـهُ   قَسْـوَةً مِثْـلَ قَسْـوَةِ المَعْشُـوقِ !!
صَـدَّ مِـنْ بَعْـدِ وَصْـلِهِ وَتَنَـاءَى   بَعْـدَ قُـرْبٍ عَـنْ صَـاحِبٍ وَصَـدِيقِ

يَـا حَمَامـاً فَـوقَ الغُصُـونِ تَغَنَّـى   بِشَـجِيٍّ مِـنْ صَـوْتِهِ المَوْمُـوقِ![2]
نَحْـنُ فِي النَّـوحِ ، دَائِبَـانِ ؛ فَقُـلْ لِي :   أَيَّ خِـلٍّ تَبْكِـي بِكُـلِّ طَرِيـقِ
أَنْـتَ تَبْكِـي بِـدَمْعِ عَـينِ أَسِـيرٍ   وَبُكَـائِي بِـدَمْعِ عَـينِ طَلِيـقِ
أَيُّنَـا فِي البُكَـاءِ أَشْـقَى ؟ ... وَأَيٌّ   قَلْبُـهُ بِالبُكَـاءِ جِـدُّ خَفُـوقِ

أَنْـتَ تَبْكِـي بِنَغْمَةٍ تُوقِـظُ النَّـا   ئِـمَ مِنْ عِشْـقِ عَاشِقٍ مَوْهُـوقِ[3]

---

(١) نشرت بجريدة السياسة الأسبوعية ، العدد ٢١٥ ، السنة الخامسة ، السبت ٢٠ ذو القعدة سنة ١٣٤٨هـ ، ١٩ أبريل سنة ١٩٣٠م .

(٢) الموموق : من ومق ومقًا ومقة : أحبه .

(٣) موهوق : محبوس ، ويقال : توهق فلانًا في الكلام ؛ اضطره إلى ما يتحير فيه .

كَـــم هُمُــومٍ أَحْيَيْتَهَـــا فِي فُـــؤَادٍ غَرِقَـــتْ مِنْـــهُ فِي مَكَـــانٍ عَمِيـــق !!

وَفُـــؤَادِي ، بِالشِّـــعْرِ لَا زَالَ يَهْـــتَزُّ بِأَوْتَـــارِ شَـــائِقٍ وَمَشُـــوقِ

كَـــمْ حَمَـــانِي هَـــذَا الفُـــؤَادُ رُقَـــادًا وَبَـــلانِي فِي صَـــاحِبٍ وَرَفِيـــقِ !!

كُلَّـــمَا نَـــدَّ عَـــنْ هَـــوَاهُ صَـــدِيقٌ زَجَّنِـــي فِي الأَسَـــى بِكُـــلِّ مَضِـــيقِ

وَأَعَـــانَ الهُمُـــومَ تَـــتْرَى وَلَا يَنْفَـــكُّ يُغْـــرِي بِكُـــلِّ عَهْـــدٍ وَثِيـــقِ

أَيُّهَـــذَا الفُـــؤَادُ حَسْـــبِي فَـــمَا كَـــانَ وَفَـــاءُ الأَحْبَـــابِ بِـــالمَوْثُوقِ

كُـــنْ وَفِيّـــاً إِذَا أَرَدْتَ وَلَا يَحْـــزُنْكَ سُـــوءٌ مِـــنْ خَـــافِرٍ لِلحُقُـــوقِ[1]

رُبَّ خِـــلٍّ أَلْقَـــاهُ أَحْسَـــبُهُ الصَّـــادِقَ فِي بَـــذْلِ وُدِّهِ المَطْـــرُوقِ

وَلِعَيْنَـــيَّ فِي قَلْبِـــهِ النَّاغِـــلِ الفَـــاسِدِ عَـــيْنٌ تَجْلُـــو مَكَـــانَ العُقُـــوقِ[2]

يَـــا حَمَـــامَ الغُصُـــونِ ! هَيَّـــا فَقَـــدْ آنَ أَوَانُ التَّغْـــرِيـــدِ وَقْـــتَ الشُّـــرُوقِ

---

(١) الخافر : الناقض للعهد والغادر .

(٢) الناغل : من ساءت نيته ، وانطوى قلبه على ضغن ، وبمعنى الفاسد أيضًا .

قَـدْ خَلَعْـتَ العِـذَارَ فَـاخْلَعْ وَهَيَّـا نَتَغَنَّـــــى فِي كُـــلِّ رَوضٍ أَنِيــــقِ

فِي ظِـــلَالِ الغُصُـــونِ مُشْــتَجِرَاتٍ وَهُبُـــوبُ الصَّـــبَا بِـــرُوحِ رَشِـــيقِ

وَالنَّـــدَى قَـــدْ كَسَـــا الغُصُـــونَ بِـــدُرٍّ كَالـــدَّرَارِي أَوْ دَمْـــعِ عَـــينٍ غَرِيـــقِ

نَتَسَـــلَّى عَـــنْ ذِكْـــرِ مَـــنْ قَـــدْ جَفَانَـــا وَسَـــقَانَا مِـــنْ وُدِّهِ المَمْـــذُوقِ(١)

وَخَلِيـــلٍ صَـــاحَبْتُهُ خَـــانَ عَهْـــدِي وَتَمَـــادَى مَـــا خِلْتُـــهُ بِمُفِيـــقِ

كَيْـفَ بِالأَبْعَـدِينَ مِـنْ بَعْـدِ مَـا خَـا نَ قَرِيـبٌ عَهْـدِي وَكَـانَ شَـقِيقِي ؟!

لَيْـــتَ قَلْبِـــي لَمْ يَحْتَمِـــلْ لَـــكَ وُدًّا لَمْ تَكُـــــنْ فِي جَزَائِـــــهِ بِرَفِيــــقِ

غَـــيرَ أَنِّي عَـــلَى وِصَـــالِكَ وَالهَجْـــــــــــرِ مُطِيــقٌ إِنْ كُنْـتَ غَـيرَ مُطِيــقِ

❊ ❊ ❊

(١) المذوق : اللبن المخلوط والممزوج بالماء ، وفي الود لم يخلصه ، ويقال : مذاق ، ومماذق : غير مخلص .

رُبَّ خِلٍّ لَكَ إنْ مِلْتَ إلى الهَجْرِ تَدَانى [1]

وَإذَا مَا رُمْتَ جِدًّا وَاعْتِمالاً يَتَوانَى [2]

ذَلِكَ المُورِثُ فِي القَلْبِ حُقُودًا وَاضْطِغَانَا

وَالغَوَانِي بِدَلالِ الصَّدِّ يَصْدِفْنَ الجَنَانَا [3]

هُنَّ مَنْ تَعْلَمُ فِي القَلْبِ حِبَاباً وَافْتِتَانَا

يَزْدَهِينَ الرَّاجِحَ الحِلْمِ دَلالاً وَافْتِنَانَا

رُبَّ قَلْبٍ قَلَّتِ الغِيدُ بَنَاناً فَبَنَانَا

كُلَّمَا زِدْنَ بِهِ لَهْواً أَحَبَاهُنَّ العِنَانَا

هُنَّ فِي الكَيْدِ وَبِالكَيْدِ يُمَاطِلْنَ مُنَانَا

---

(١) مؤرخة في ١٩ ربيع الأول سنة ١٣٤٧هـ ، ٣ سبتمبر سنة ١٩٢٨م .

(٢) العمل : عمل الرجل لغيره ، والاعتمال : عمله لنفسه .

(٣) يصدفن : من صدف يصدف : أعرض وانصرف ومال ، والصدوف : المرأة تعرض وجهها عليك ثم تصدف .

وَإِذَا مَـــا أَزْمَـــعَ الجِـــــــــــدُّ فَقَـــدْ حَـــلَّ جَفَانَـــا

يَجِـــدُ المُسْـــتَهْتِرُ الحَـــــــــــقَّ وضُـــوحًا وَبَيَانَـــا

فَهُنَـــاكَ الصَّـــرْمُ وَالهَجْـــــــــــرُ وَمَـــا شِـــئْتَ حِرَانَـــا(1)

لَـــيسَ لِلغِيـــدِ عُهُـــودٌ   هُـــنَّ أَشْـــبَهْنَ الزَّمَانَـــا

قَـــدْ حَبَانَـــا مِـــنْ مَوَاثِيـــــــــــقِ عُهُـــودٍ وَرَمَانَـــا

يَـــا حَبِيـــبَ الـــنَّفْسِ مَـــا جَـــدَّ   بِـــمَا كَـــانَ وَكَانَـــا ؟!

هَـــلْ نَسِـــيتَ العَهْـــدَ وَالـــوُدَّ   وَمَـــا ضَـــمَّ عُرَانَـــا ؟!

لَا تَخُـــنْ وُدِّي كَفَانَـــا   الدَّهْـــرُ خُوَّانـــاً كَفَانَـــا

لَيـــتَ قَلْبِـــي لَمْ يَـــذُبْ وَجْـــــــــــدًا وَلَمْ يَغْـــنَ حَنَانَـــا

حَسْـــبُهُ مِمَّـــا لَقِـــيْ فِي الـــــــــــوُدِّ ذُلاً وَهَوَانَـــا

آهٍ ! لَـــو كَـــانَ عَـــلَى الدَّهْـــــــــــرِ مُعِـــينٌ لأَعَانَـــا !

---

(1) الحران : هنا بمعنى الإمعان في الصد والهجر ، من : حرنت الدابة : وقفت بعد الجري ، وفي البيع : لم يزد ولم ينقص .

وَسَقَى الدَّهْرَ بِكَأْسٍ مِنْهُ قَسْرًا قَدْ سَقَانَا
ذَاقَ؛ مِنْ مُرِّ الَّذِي ذُقْنَاهُ سُمًّا قَدْ بَرَانَا

آهِ! يَا قَلْبِي! لَقَدْ زِدَّتَ بِجَنْبِي خَفَقَانَا
آهِ! يَا قَلْبُ! تَحَدَّثْ قَدْ أَقَلْنَا ذَا اللِّسَانَا
وَاعْرِضِ الآمَالَ لَا تَخْشَ وَقَاكَ اللهُ شَرًّا وَوَقَانَا[١]
حَدِّثِ الأَحْبَابَ عَنْ أَيَّامِنَا شَانًا فَشَانَا
ثُمَّ وَدِّعْهُمْ وَقُلْ: لَمْ يُعْطِنَا الدَّهْرُ الأَمَانَا[٢]

❊ ❊ ❊

---

(١) هذا البيت خمس تفعيلات وفيه تفعيلة زائدة.

(٢) في الأصل: كتب الشاعر في نهاية القصيدة هذه العبارة: الحجاز، جدة، كشك ملباري.

وَالِـــهٌ يَتَّقِــي الــرَّدَى بِجَنانِـــهْ فَــانْطَوَى قَلْبُــهُ عَـــلَى أَحْزَانِــهْ
صَــابَ مِــنْ جَفْنِــهِ عَــلَى وَجْنَتَيْــهِ دَمْعُـــهُ وَالــدُّمُوعُ أَمْــلَاءُ شَــانِهْ
كُلَّـــمَا هَـــمَّ بِالتَّسَـــلِّي أَتَتْــهُ زُمَـــرٌ تَعْتَـــدِي عَـــلَى سُــلْوَانِهْ
فَهــيَ تُحْيِــي قَلْبــاً غَرِيقــاً بِهَــمٍّ وَتُمِيْـــتُ الغَرِيـــقَ مِـــنْ إِنْسَــانِهْ
ثُــمَّ تُصْــغِي بِسَــمْعِهَا طَلَــبَ اللَّـــــــذَّةِ ، مِــنْ شَــجْوِهِ وَمِــنْ إِرْنَانِــهْ[1]

أَحَـــلَالٌ لِكُـــلِّ جَفْـــنٍ سُــبَاتٌ وَحَـــرَامٌ كَـــرَىً عَـــلَى أَجْفَانِـــهْ ؟!
أَحَـــلَالٌ لِكُـــلِّ نَفْـــسٍ مُنَاهَـــا وَحَـــرَامٌ أَنْ يَسْـــتَقِلَّ بِشَـــانِهْ ؟!
بِئْسَـــمَا قَــدْ قَضَــتْ عَلَيْــهِ التَّــوَالِي مِــنْ هُمُــومٍ ، وَالعِيــدُ مِــنْ أَشْــجَانِهْ

يَــا هُمُــومِي أَلَــذَّةٌ لَــكِ تُقْضَـــى فِي سَــمَاعِ الشَّــجِيِّ مِــنْ أَلحانِــهْ ...
تَقْتَضِـــي مِحْنَتِـــي ، وَطُــولُ سُــهَادِي وَاعْتِكَــافِي عَــلَى الأَسَــى وَدِنَانِــهْ ؟!

(١) إرنانه : من رن يرن رنينًا : صاح وصوت .

حَـدِّثِ الأَحْبَـابَ عَـنْ شَـجَنِهْ	قَـدْ وَهَـى مَـا كَـانَ مِـنْ لَسَـنِهْ[١]

هَـذِهِ الأَلْفَـاظُ مُعْرِضَـةٌ	وَالعَـوَادِي هِضْـنَ مِـنْ فِطَنِـهْ[٢]

لَا يَـرَى للقَـولِ مُضـطربًا	ضَـاقَ قَـولُ نَـاءَ مِـنْ حَزَنِـهْ

حَسَـنًا يَكْسُـو الزَّمَـانَ وَلَا	يَرْتَـدِي مَـا زَادَ مِـنْ حَسَـنِهْ

مَـا تَـرَى مِـنْ مَـادِحٍ أَبَـدًا	قَـدْ أَجَـادَ المَـدْحَ فِي زَمَنِـهْ

إِنْ كَسَـاهُ مِنْـهُ مَكْرُمَـةً	أَتْبَـعَ المَكْـرُوهَ مِـن دَدَنِـهْ[٣]

بَاسِـمٌ عَـنْ ثَغْـرِهِ طَرَبـاً	دَامِـعٌ يومـاً عَـلَى مِحَنِـهْ

خَـالِطٌ بِالـدَّمْعِ ضِـحْكَتَهُ	فَهْـوَ يَحْكِـي الـبَرْقَ فِي مُزَنِـهْ

يَتَلَقَّـى الطِّفْـلَ مِـنْ رَحِـمٍ	وَهْـوَ يَطْـوِي الشَّـيْخَ فِي كَفَنِـهْ

---

(١) لسنه : اللسن : الفصاحة والبيان .

(٢) هضن : من انهض الشيء : انكسر .

(٣) ددنه : الددن : السيف الكهام والقطاع ، ومنه الديدن : العادة ، ومنه الديدان : من لا غناء عنده .

أَوَّلٌ فِي النُّـــورِ مُلْـــتَقِطٌ   آخِـرٌ فِي البَـيْنِ عَـنْ جُنَنِـهْ[1]

فَبُكَـاءُ المَـرْءِ مِـنْ بَصَـرٍ   وَسُرُورُ المَـرْءِ فِي أُذُنِـهْ

أَثَـرٌ بِـالعَيْنِ مِـنْ دُرَرٍ   وَسُرُورٌ ، عِـيَّ مُخْتَزَنِـهْ[2]

لَـيسَ يَبْقَـى مَـا طَرِبْـتَ لَـهُ   وَالجَـوَى بَـاقٍ عَـلَى دَرَنِـهْ[3]

رُبَّ عُـدْمٍ كَـانَ مِـنْ بَخَـلٍ   وَرَبَـاحُ الشَّـيءِ فِي ثَمَنِـهْ

وَفَقِـيرٍ وَفْـرُهُ بَعَـدٌ   عَـنْ كَثِـيرِ المَـالِ مُمْتَهَنِـهْ[4]

إِنْ حَـوَاهُ ضَـلَّ فِي سُـبُلٍ   تَحْتَوِيهَـا السُّـودُ مِـنْ فِتَنِـهْ

كُـلُّ مَـنْ يَمْشِـي عَـلَى قَـدَمٍ   لَـيسَ يَـدْرِي مُنْتَهَـى ظَعَنِـهْ

مَـا خَطَـا إِلَّا عَـلَى قَـدَرٍ   مَا يَمِيـزُ السِّـرَّ مِـنْ عَلَنِـهْ

---

(١) جننه : من الجنن : القبر والميت والكفن .

(٢) درر : لعله جمع درة التي يضرب بها ، أو بمعنى سيلان الدمع وكثرته من كثرة البكاء والحزن .

(٣) درنه : الدرن الأصل : أي باق على أصله ، والجوى : الحزن .

(٤) بعد : أي بعيد .

سُنَنٌ تَجْرِي عَلَى سَنَنٍ ... مَا بَدَتْ إِلَّا لِمُمْتَحِنِهْ

لَيسَ يَقْضِي المَرْءُ مِنْ عَجَبٍ ... فِي الَّذِي يَلْقَاهُ مِنْ سُنَنِهْ

قَمِنٌ بِاللِّينِ فِي دَعَةٍ ... مَنْ تَلَقَّى الصَّبْرَ فِي خَشَنِهْ

هَلْ تَرَى (المِقْدَارَ) مُنْتَكِصاً ... لَمْ تَرَ الجُوَّابَ مِنْ سُفُنِهْ !!

أُعْلُ مَا يُعْلِيكَ مِنْ سُفُنٍ ... إِنَّهَا تَجْرِي عَلَى سَنَنِهْ

مَا يَلِيقُ الذُّلُّ مِنْ رَجُلٍ ... لَمْ يَقُمْ يوماً عَلَى وَهَنِهْ

هَذِهِ الأَطْيَارُ مُطْلَقَةٌ ... تَتَغَنَّى فِي ذُرَى فَنَنِهْ

وَوُحُوشُ البِيدِ نَاعِمَةٌ ... مَا تبن الغمرَ مِنْ مُدُنِهْ

خَاضِعٌ للنَّاسِ مُكْتَنِعٌ ... عَاكِفٌ دَهْرًا عَلَى وَثَنِهْ[1]

نُورُ مَنْ يَسْعَى إِلَى أَمَلٍ ... صَبْرُهُ المُنْجِيهِ مِنْ غَبَنِهْ

وَاعْتِيَادٌ لَا عَلَى بَشَرٍ ... وَانْطِوَاءٌ لَا عَلَى وَسَنِهْ[2]

---

(١) مكتنع : الكانع : الخاضع ، أو من دنا من الذلة .

(٢) وسنه : من الوسن : شدة النوم .

وَاغْــتِمَاضٌ عَــنْ مُسَــفَّهَةٍ   مِــنْ حَقُــودِ الصَّــدْرِ مُضْــطَغِنِهْ
لَــيسَ مَــنْ يُطْــوَى عَــلَى كَــرَمٍ   مِثْــلُ مَــنْ يُطْــوَى عَــلَى إِحَنِــهْ
وَكَــرِيمٍ سَــيفُ نَائِبَــةٍ   مَــا نَبَــا فِي كَــفِّ مُحْتَضِــنِهْ
إِنَّ مَــا بِالنَّــدْبِ مِــنْ صَــدَإٍ   أَنْ يُمِيــتَ القَلْــبَ فِي ضَــغَنِهْ

هَـــذِهِ الأَلْفَـــاظُ شَـــارِدَةٌ   مِـــنْ أَخِـــي شَـــجْوٍ إِلَى سَـــكَنِهْ
رُوحُـــهُ فِي مِصْـــرَ مُوثَقَـــةٌ   وَالنَّـــوَى قَـــدْ حَـــلَّ فِي بَدَنِـــهْ
لَــيسَ مَــنْ يَبْكِــي حُشَاشَــتَهُ   مِثْــلُ مَــنْ يَبْكِــي عَــلَى وَطَنِــهْ[1]

* * *

(١) حشاشته : : بقية الروح في المريض والجريح .

- ٧ -

ثُـمَّ مَضَـى الـدَّمْعُ عَـلَى فَيْضِـهِ وَأَنْبَـتَ الـدَّمْعُ عَـلَى خَـدِّهْ ..

نَبَـاتُ هَـمٍّ لَـيسَ يَـذْوِي وَلَا يَـذْبُلُ مَـا ضُـمَّ عَـلَى وَجْـدِهْ

لَـيسَ بُكَـا الـثَّكْلَى عَـلَى هَالِـكٍ مِثْـلُ بُكَـاءٍ ثَـارَ مِـنْ وُدِّهْ

وَمَـا اسْـتَثَارَ الـدَّمْعَ فِي مَوقِـفٍ مِثْـلُ فِـرَاقٍ خَبَـتْ فِي رَدِّهْ

وَمَـدْمَعُ العَـينِ - عَـلَى صَاحِبٍ ، فِي البَـينِ - أَشْـوَى مِنْـهُ فِي فَقْـدِهْ[1]

لَكِـنَّ لِلبَـينِ يَـدًا عِنْـدَنَا ... قَـدْ أَغْمَـدَتْ سَـيفَكَ فِي غِمْـدِهْ

وَأَغْمَـدتُ سَـيْفِيَ فِي غِمْـدِهِ مِـنْ صَـاحِبٍ لَمْ أَخْـشَ مِـنْ صَـدِّهْ

فَهْـوَ مُقِـيمٌ لَا عَـلَى خَـائِرٍ بَـل قَـامَ وَالحَـقُّ عَـلَى عَهْـدِهْ

لَا خَـابَ يَـا رَبِّ لَـهُ مُرْتَجَـىً وَثَبَّـتَ اللهُ خُطَـى جَـدِّهْ

وَلَا أَرَاهُ السُّـوءَ فِي صَـاحِبٍ قَـدْ أُرْضِـعَ الإِخْـلَاصَ مِـن مَهْـدِهْ

وَلَـنْ يَخُـونَ العَهْـدَ فِي ذِمَّـةٍ حَتَّـى يُـوَارَى فِي ثَـرَى لَحْـدِهْ

❀ ❀ ❀

---

(١) أشوى : أهون من الشوى : الأمر الهين .

- ٨ -

أُذْكُــرِ الأَيَّــامَ وَلَّــتْ وَتَقَضَّــتْ فِي رُبَاهَــا

فِي رُبَــى اللَّــذَّةِ قَــدْ أَسْــهَرْتُ فِيهَــا مُقْلَتَاهَــا[1]

وَجَنَيْنَــا مِــنْ ثِــمَارِ الحُــبِّ مَــا أَشْــهَى جَنَاهَــا

وَاخْتَلَسْــنَا مِــنْ عُيُــونِ الدَّهْــرِ فِي الحُــبِّ ضِــيَاهَا

خُلَّــةٌ قَــدْ أَبْلَغَتْهَــا فِي عَمَاهَــا مُنْتَهَاهَــا

تَقْــرَعُ الصَّــدْرَ وَصَــدْرًا وَجِبَاهًــا وَجِبَاهَــا

قَرْعَــةُ الكَــاسِ بِكَــاسٍ تُسْــمِعُ الصُّــمَّ نِــدَاهَا

لَعْنَــةُ اللهِ عَــلَى الكَــاسِ وَمَــا ضَــمَّتْ حُبَاهَــا

وَرَعَــى اللهُ صُــدُورًا قَــدْ تَــرَوَّتْ مِــنْ مُنَاهَــا

وَجِبَاهًــا قَــدْ تَلَاقَــتْ وَشِــفَاهًا وَشِــفَاهَا

فَوَقَاهَــا اللهُ مِمَّــا قَــدْ عَرَاهَــا وَشَــفَاهَا

❋ ❋ ❋

(١) مقلتاها : للضرورة الشعرية ، وعلى القاعدة (مقلتيها) وفي الأصل وضع الشاعر ما يشير إلى ذلك .

حنان النجوم[1]

يَـا نُجُـومَ السَّـمَا ! تَحِيَّـةُ مُشْـتَا ... قٍ ، بَعِيـدٌ عَـنْ خَـيرِ خِـلٍّ وَدُودِ
فَاحْمِلِيهَـا إِنْ كُنْـتِ مِمَّـنْ يُـوَاسِي ... مُولَعـاً بِالبُكَـاءِ وَالتَّسْـهِيدِ
يَجْعَـلُ اللَّيـلَ كَـالفُرُوعِ فَـمَا يَنْـ ... ـفَكُّ مِـنْ وَثْبَـةٍ وَمِـنْ تَغْرِيـدِ
وَقَرِيـبُ الأَلحَـانِ مِـنْ عُـودِهِ الحَـا ... لِمِ يَحْـدُوهُ كُـلُّ شَـوقٍ بَعِيـدِ

يَـا نُجُـومَ السَّـمَا ! تَنَهُّـدُ صَـدرٍ ... أَيُّ صَـدْرٍ !! وَأَيُّ قَلْـبٍ جَلِيـدِ !!
فَاحْمِلِيـهِ إِنْ كُنْـتِ مِمَّـنْ يُسَـلِّي ... مُولَعـاً بِـالحَنِينِ وَالتَّنْهِيـدِ
يَحْسَـبُ اللَّيـلَ سِـجْنَهُ بَعْـدَمَا كَـا ... نَ طَـرُوبَ الأَلحَـانِ غَـيرَ بَعِيـدِ !!
احمِلِيهَـا تَنَهُّـدًا وَسَـلَامًا ... إِنَّ هَـمَّ الفُـؤَادِ كَالتَّغْرِيـدِ

---

(١) نشرت في جريدة السياسة الأسبوعية ، السبت ٧ ربيع الأول سنة ١٣٤٩هـ ، ٢ أغسطس سنة ١٩٣٠م ، العدد ٢٣٠ ، السنة الخامسة .

يَـا نُجُـومَ السَّـمَا !! وَيَـا دُرَّ صَـدْرٍ !!   بَـيـنَ أَضْـلَاعِهِ فُـؤَادُ عَنِيـدِ
مُسْـتَبِدٌّ قَـاسٍ كَفَـاهُ حَنَانـاً   أَنَّـهُ زَانَ صَـدْرَهُ بِفَرِيـدِ
إِنْ قَسَـى لَمْ تَجِـدْ سِـوَاهُ حَنُونـاً   عَجَـبٌ ؛ لَـيسَ أَمْـرُهُ بِرَشِـيدِ ؟!
قُـلْ : بَـلَى ، يَـا فُـؤَادُ إِنَّـكَ بِالنَّجْـمِ سَـعِيدٌ ؛ وَالجَـدُّ غَـيرُ سَـعِيدِ[1]

هِـيَ أَحْنَـى عَلَيـكَ مِـنْ ضَـمَّةِ الأُمِّ وَمِـنْ قَلْـبِ وَالِـدٍ وَوَدُودِ
تُرْسِـلُ اللَّمْحَـةَ الَّتِـي تُـبْرِئُ الصَّـدْ   رَ وَتَشْـفِي مِـنْ جَـدِّكَ المَنْكُـودِ
فَالْتَمِسْـهَا وَاللَّيـلُ مُـرْخٍ حَـوَا   شِـيهِ وَهَـمُّ النَّهَـارِ في تَجْنِيـدِ
وَارْتَشِـفْ مِـنْ سَـنَا الأَشِـعَّةِ مَـاءً   غَـيرَ ذِي غُصَّـةٍ وَلَا تَصْـرِيدِ[2]

وَتَحَـدَّثْ بِـمَا تُجِـنُّ ضُـلُوعٌ   فَجُنُـودُ الهُمُـومِ لِلتَّبْدِيـدِ
وَاذْكُـرِ الحُـبَّ فِي غَلَائِلِهَـا البِيْـضِ وَمَـاءُ العَفَـافِ بَـينَ الخُـدُودِ

---

(١) الجد : الحظ .

(٢) تصريد : التصريد : التقليد وفي السقي دون الري .

وَعُيُونُ الحَبِيبِ تَنْطِقُ بِالطُّهْرِ ، وَتُفْضِي عَنْ عِفَّةٍ وَعُهُودِ
إِنَّ عَهْدَ العَفِيفِ إِغْضَاءَةُ العَيْنِ لِفَرْطِ الحَيَاءِ بَعْدَ جُهُودِ
هِيَ دَارُ الأَحْلَامِ ، دَارُ الأَمَانِيِّ يُوَاسِي جَمَالُهَا كُلَّ مُودِي [1]
أَوَ لَيْسَتْ تُزِيلُ عَنْ صَدْرِكَ الهَمَّ وَتَعْتَادُ بِالخَيَالِ الجَدِيدِ ؟
قُلْ : بَلَى ، يَا فُؤَادُ إِنَّكِ بِالنَّجْمِ سَعِيدٌ ، وَالجَدُّ غَيْرُ سَعِيدِ
فَارْتَشِفْ مِنْ سَنَا الدَّرَارِيِّ مَاءً غَيْرَ ذِي غُصَّةٍ وَلَا تَصْرِيدِ

* * *

---

(١) مودي : مشرف على الهلاك أو هالك .

- ١٠ -

لَسْتُ أَبْكِيكَ بِالدُّمُوعِ الهَوَامِي بَلْ بِدَمْعِ الهُمُومِ وَالأَشْوَاقِ
مَا تَرَاهَا تَجْرِي عَلَى الخَدِّ ... لَكِنْ جَرْيُهَا فِي الفُؤَادِ وَالآمَاقِ[1]
هَلْ دَرَى البَيْنُ أَنَّ قَلْبِي مُعَنَّى وَأَسِيرٌ بِمِصْرَ فِي أَطْوَاقِ

رَحِمَ اللهُ يَومَ كُنَّا قُلُوباً تَجْمَعُ الحُسْنَ كَالخُدُودِ الرِّقَاقِ
فَبَسَطْنَا عَلَيْهِ حُسْنًا وَلِينًا وَضِيَاءً يُبَثُّ فِي الآفَاقِ
وَرَوِينَا حَتَّى صَدَرْنَا مِلَاءً مِنْ جَمَالِ الظَّلَامِ وَالإِشْرَاقِ[2]
فَجَمَعْنَا حُسْنَ الدُّهُورِ وَحُسْنًا فِي قُلُوبٍ تَمُوجُ بِالعُشَّاقِ

رَحِمَ اللهُ حُسْنَ تِلْكَ اللَّيَالِي وَجَزَى اللهُ يَومَ بَدْءِ الفِرَاقِ
وَأَعَدَّ الجَمَالَ ... وَالحُسْنَ ... وَالطِّيبَ وَإِسْعَادَنَا ... لِيَومِ التَّلَاقِي

---

(١) الآماق : مجرى الدمع من العين ، أي من طرفها مما يلي الأنف .

(٢) ملاء : من الامتلاء ، وامتلاء الإناء بالماء .

لَمْ أَجِـدْ في الحَيَـاةِ أَقْسَـى عَـلَى القَلْـــــبِ مِـنَ البَـينِ أَو دِفَـاعِ النُّـزُوعِ(١)

إِنْ يُطِعْــكَ البُكَــاءُ في البَـينِ وَالحُــــــبِّ فَـمَا كَــانَ حُبُّـــهُ بِمُطِيــعِ

فَـــإِذَا لَمْ يَجِـــدْ طَرِيقَـــاً إِلَى العَيْـــــــنِ فَـــإِنَّ الطَّرِيــقَ بَـينَ الضُّــلُوعِ

وَإِذَا ذَاقَـــتِ العُيُـــونُ هُجُوعَـــاً   لَمْ يُغَـــادِ القُلُـــوبَ زَوْرُ هُجُـــوعِ

فَتَجَلَّـــدْ في كُــلِّ شَيءٍ فَـــإِنَّ البَـــــــيْنَ يَـــأْبَى الفُــؤَادَ غَــيرَ جَــزُوعِ

وَادَّخِــــرْهُ لِيَــــومِ تَلْقَــــاهُ بِالغَيـــــــبِ جَزُوعَـــاً للحُــزْنِ غَـيرُ مُضِـيعِ

* * *

(١) النزوع : من نزع إلى أهله نزوعًا : اشتاق .

- ١٢ -

صورته

ضُـمِّي إِلَيـكِ الكَبِـدَ المُحَرَّقَـا   في الجَوَى

وَاحْمِـلِي عَنِّـيَ قَلْبـاً أُغْرِقَـا   في الهَوَى

أَمْسِـكِي مِنِّـيَ رَأسـاً أَطْرَقَـا   للنَّوَى (١)

وِحبَابـاً في ذُرَى القَلْـبِ ارْتَقَـى   ثُمَّ لَوَى

وَاشْـتِيَاقًا كَـانَ رَوْضـاً مُونَقَـا   ثُمَّ كَوَى

رَحْمَـةُ الله لِقَلْـبٍ عَشِـقَا   في الفِرَاقْ

أَزْهَـرَ الحُسْـنُ بِوَجْـهٍ أَزْهَـرَا   في نَدَاهْ

وَالصِّـبَا أَخْـبَرَنِي مَـا أَخْـبَرَا   لَا عَدَاهْ

مِـنْ حَـدِيثٍ كَالرُّبَـا مَـا أَنْضَـرَا   يَاهَنَاهْ!!

---

(١) أطرقا : من أطرق رأسه : أي خفض رأسه وأرخى عينيه ينظر إلى الأرض .

ثَمَــرٌ يُسْــقَى جَمَــالاً أَثْمَــرَا يَا جَنَاهْ

فَسَــقَانِي مَــاءَ حُسْــنٍ مُسْــكِرَا يَا يَدَاهْ

لَمَّ أَشْــتَاتَ فُــؤَادٍ مُزَّقَــا فِي الحَنِينْ

لَوعَــةً أَضْرَمْــتِ يَــا صُــورَتَهُ فِي الفُؤَادْ

وَتُعِيــدُ الحُسْــنَ تِلْــكَ الصُّــوَرُ فِي الوِدَادْ

وَحَكَــتْ لِلعَــينِ أُسْــطُورَتَهُ فِي البِعَادْ

أَوْقَــدَتْ نَــارَ هَــوَايَ الــذِّكَرُ فِي الصِّفَادْ[1]

لَيتَنِــي مِــنْ قَيــدِهِ أَنْفَلِــتُ لِلقَاءْ

وَأَزُورُ الــرَّوضَ يَزْهُــو مُونَقــاً فِي رَبِيعْ

أَيُّهَــا البَــينُ حَنَانَيــكَ لَنَــا مَا جَنَينَا ؟

بَــدَّلَ الرَّاحَــةَ شَــجْوًا وَضَــناً فَارْتَضَيْنَا

---

(١) الصفاد : القيد .

أَيـنَ عَنِّـي مَـنْ عَنَـانِي بِالسَّـنَا هَوَ أيْنا ؟

وَرَعَينَـا مَـا رَعَينَـا فِي المُنَـى وَارْتَوَينَا ...

وَإِذَا أَنَـا هُـوَ وَهْـوَ أَنَـا مَا عَلَينَا ...

وَارْتَفَقْـتُ المُجْتَنَـى وَارْتَفَقَـا فِي العِنَاقْ ...

أَيـنَ كَـأْسٌ قَـدْ عَلَاهَـا الحَبَـبُ مِنْ حَبِيبْ [1]

فَـانْتَفَى عَنِّـي الكَـرَى وَالوَصَـبُ وَالنَّحِيبْ [2]

فَقَضَـينَا اللَّيـلَ ... جِـدٌّ ... لَعِـبٌ وَانْتِهَابْ

وَدَنَـا الفَجْـرُ حُـلَاهُ الـذَّهَبُ فِي اقْتِرَابْ

تِلـكَ أَيَّـامٌ نَأَتْنَـا عَجَـبٌ وَانْتِحَابْ [3]

لَيتَنَـا لَمْ نَغْـدُ فِيهَـا فِرَقَـا لِلأَنِينْ

---

(١) الحبب : الفقاقيع التي تعلو الماء .

(٢) الوصب : المرض والوجع الدائم ، ونحول الجسم ، وقد يطلق على التعب والفتور .

(٣) نأتنا : لعلها من نأت نأتًا ونئيتًا : بمعنى أنَّ وجهر بالأنين ، ويقرب هذا المعنى كلمة (وانتحاب) في سياق البيت .

صُـــورَةٌ لَمْ تَجْـــرِ فِيهَـــا الحِيَـــلُ   لِلجَمَالْ

حُسْـــنُهَا كَـــالرَّوضِ فِي نُضْـــرَتِهِ   وَالهِلَالْ

وَتُلَاقِـــي الحُسْـــنَ هَـــذِي القُبَـــلُ   فِي الخَيَالْ

مَـــنْ لِهَـــذَا القَلْـــبِ فِي سَـــكْرَتِهِ ؟!   وَالخَبَالْ

كُلَّـــمَا مَـــرَّ الهَـــوَى يَلْتَفِـــتُ   مَا الدَّوَاءْ

إِنَّ قَلْـــبَ المَـــرْءِ - إِمَّـــا عَلِقَـــا -   لَصَرِيعْ

أُدنُ مِنِّـي يَـا حَبِيبِـي ! يَـا حَبِيـبْ !!   لَسْتَ تَدْنُو

إِنَّ لِي مِـــنْ طَيفِـــكَ الـــدَّهْرَ قَرِيـــبْ   لَا يَضِنْ

إِنَّ لِي فِي حَـــاجِزِ الفُرْقَـــةِ بَـــاب   مِنْه أَرْنُو

وَأُنَادِيـــكَ مُصِـــيخًا لِلجَـــوَابْ   وَأَئِنْ

رَحِـــمَ اللهُ أُوَيْقَـــاتِ الشَّـــبَابْ   هَلْ تَعُودْ

أَحَيَـــاةٌ رَقْـــدَةٌ ثُـــمَّ الهُبُـــوبْ   كَالْمَمَاتْ ؟![1]

هَل يَغِيبُ البَـيِنُ وَالقُـرْبُ يَـؤُوبْ ؟   هَلْ تَجُودْ ؟!

أَنْـــتَ يَـــا دَهْـــرُ وَلُـــوعٌ بِالعَـــذَابْ   وَالشَّتَاتْ

أَنْـــتَ إِنْ لَمْ تَـــدَعِ الطَّبْـــعَ اللَّئِـــيمْ   سَأَجِنّ فَأَجِنّ

مَـــنْ بَكَـــى فَوَفَـــاءٌ مَـــا بَكَـــى   وَاشْتَكَى لِلحَبِيبْ

❊ ❊ ❊

---

(١) الهبوب : يقال : هب الرجل من النوم ؛ انتبه واستيقظ .

يَلْتَهِبُ الحُبُّ أَوْ يَلِينُ ... فَمَا　　أَنْعَمُ إِلَّا بِهِ وَأَنْشَرِحُ
إِنْ كَانَ شَوقِي يَلِجُّ مُعْتَسِفًا　　يُضْنِي ، فَقَلْبِي لِذَاكَ يَنْفَسِحُ

إِنْ أَنْسَ لَا أَنْسَ مُهْجَةً بَذَلَتْ　　تُسْلِسُ مِنْ وُدِّهَا وَتَنْسَرِحُ
تَحُفُّهَا الحَادِثَاتُ جَاهِدَةً ...　　لَكِنَّهَا لَنْ يُصِيبَهَا جُرُحُ
تُبِينُ عَنْ زَهْرَةٍ مُنَوَّرَةٍ　　فِي ظُلَمِ الحَادِثَاتِ تَتَّضِحُ

يَا قَلْبُ !! مَا لِي أَرَاكَ مُضْطَرِبًا　　كَبَارِقٍ فِي الغَمَامِ يَقْتَدِحُ ؟؟
لَا يَسْتَقِرُّ الفُؤَادُ مِنْ قَلَقٍ　　كَأَنَّهُ بِالمُدَامِ مُصْطَبِحُ
أَوْ أَنَّنِي شَارِبٌ مُعَتَّقَةً　　وَأَنْتَ ، يَا قَلْبُ ! فِي يَدِي قَدَحُ

كَـأْسٌ مِـنَ الهَـمِّ مَـالَ شَـارِبُهَا ... كَـمَا تَمِيـلُ الأَبَـاعِرُ الطُّلُـحُ[1]

يَا مَـنْ حَسِـبْتَ المُزَاحَ مِـنْ فَـرَحٍ !! ... عَنِّي ... فَقَـدْ بَـانَ فِي النَّـوَى الفَـرَحُ

أَضْـحَكُ مِمَّـا يَجِـدُّ فِي طَلَـبٍ ... إِنْ سَـدَّ بَابـاً فَـالأَلْفُ تَنْفَـتِحُ

أَحِـنُّ . لَا أَسْـتَطِيعُ - فِي بَعْـدٍ - ... أَنْ أَدَّرِي جَيْشَـهُ وَأَطَّـرِحُ[2]

هَـوَايَ فِي النَّـازِحِينَ مُعْتَقَـلٌ ... وَدَمْعَتِـي لِلفِـرَاقِ تَنْسَـفِحُ

طَلِيقَـةٌ لَـيسَ أَسْرُهَـا بِيَـدِي ... لَيسَـتْ لِأَمْـرِي هُنَـاكَ تَنْسَـرِحُ

أَنِـينُ شَـجْوٍ ، وَقَلْـبُ ثَاكِلَـةٍ ... وَدَمْـعُ عَـينٍ مِزَاجُـهُ الـتَّرَحُ

❊ ❊ ❊

---

(١) الأباعر الطلح : التي أصابها الإعياء ، من طلح البعير طلحًا وطلاحة : أعيا .

(٢) أَدَّري : من درأ : بمعنى دفع .

وجيشه : من جاش يجيش : بمعنى غلى وفاض ، والمعنى : بلغ بي الحنين أقصى حد وفاض وغلى إلى درجة لا أتمكن فيها من مدافعته .

لَيسَ بِـدْعًا أَنْ يُطْلِقَ الشَّـوقُ دَمْعِـي وَرَفِيقَــايَ ، مُهْجَــةٌ وَجَنَــانُ

لَــيسَ بِــدْعًا أَنْ لا أَرَى غَـيرَ بِــدْعٍ وَاللَّيَــالِي مُعَطَّــرَاتٌ حِسَــانٌ

أَو عَــوَادٍ بَــالهُمْ وَالكَــرَبِ وَالمِحْــــنَةِ لا تُتَّقَـى وَلَا تُسْــتَهَانُ

لَــيسَ بِــدْعًا أَنْ تَلْفَنِـي تَــارَةً صَبّـــاً وَأُخْــرَى يَشْــتَدُّ بِي الشَّــنَآنُ(١)

خلـــقٌ للزَّمَـــانِ أُوْرِثْنَـــاهُ رَغْـمَ أَنْـفٍ ، فَـمَا بِنَـا مِنْـهُ ذَانُ(٢)

لَـو تَـرَى البَحْـرَ تَـارَةً سَـاجِيَ الظَّهْـــرِ وَأُخْــرَى كَأَنَّـهُ غَضْــبَانُ !(٣)

أَوْ تَــرَى الحَادِثَــاتِ طَــورًا لِيانــاً ثُــمَّ أُخْــرَى كَأَنَّهَــا أُفْعُــوَانُ !(٤)

مَـا عَـذَلتَ الضَّـعِيفَ ؛ رُحْمَـاكَ بِاللَّـــهِ تَرَفَّــقْ فَإِنَّــهُ إِنْسَــانُ

أُفٍّ !! لِلعَـاذِلِينَ ، ... كَـمْ ذَا تُلَاقِـي مِـنْ مَـلَامٍ ... وَمَـا لَهُـمْ بِـكَ شَـانُ

لِمَ يَـا رَبِّ لَمْ يَكُـنْ لَهُـمُ عَقْـلٌ رَزِيـــنٌ ، وَكَــانَ فِـيهِمْ لِسَــانُ ؟!

❋ ❋ ❋

(١) الشنآن : البغض .

(٢) ذان : ضعف أو هرم أو مرض ، أو من الذنانة : بقية الشيء الضعيف .

(٣) ساجي : ساكن .

(٤) الأفعوان : ذكر الأفعى .

- ١٥ -

أُحِـــبُّ الوَفَـــاءَ ، وَأَقْـــلَى الجَفَـــاءَ ، وَلَا أَسْـــتَطِيبُ انْتِـــزَاعَ اليَـــدِ

إِذَا أَنَـــا أَحْبَبْـــتُ مَـــنْ رَاقَنِـــي بَـــذَلْتُ لَـــهُ مُهْجَـــةَ المُفْتَـــدِي
فَلَا أَسْمَعُ القَـولَ - قَـولَ الوُشَـاة - وَلَا أَبْـــذُلُ الوَجْـــهَ لِلمُفْسِـــدِ
فَـــأَمْسٌ يَمُـــرُّ ، وَيَـــومٌ يَحِـــلُّ وَلَا سُـــوءَ يَرْجُـــوهُ مِنِّـــي غَـــدِي
فَـلَا كُنـتُ !! إِنْ كَـانَ حُبِّـي عَفـاً يَطِـــيرُ مَـــعَ العَاصِـــفِ المُبْعِـــدِ
أَأَرْقَـــى إِلَى قُلَّـــةٍ فِي العُـــلَا .. فَـأَهْوِي إِلَى السَّـافِلِ الأَوْهَـدِ ؟![1]
وَلَسْـــتَ تَـــرَى نَاكِثـــاً غَزْلَـــهُ يَـــرُوحُ مَـــعَ الخُلُـــقِ الأَمْجَـــدِ !!
وَمَـنْ خَـانَ فِي الأَرْضِ خَـانَ السَّـمَاءَ وَكَانَـــتْ لَـــهُ النَّـــارُ بِالمَرْصَـــدِ
وَمَـــنْ كَـــانَ بِالعَهْـــدِ مُسْتَمْسِـــكًا أَصَـــابَ غَـــدًا جَنَّـــةَ المَوعِـــدِ

❊ ❊ ❊

---

(١) قلة : القلة أعلى الرأس ، والجبل .
الأوهد : الأرض المنخفضة ، أو الهوة في الأرض .

براق البين

أَنَـا ذَاكَ الفَتَـى ، أَبِيـتُ وَصَـدْرِي ... مِـلْءُ أَحْنَائِـهِ اشْـتِيَاقٌ وَوُدُّ

كُلَّـمَا شَـاءَ دَهْـرُهُ نَقْـضَ عَهْـدٍ ... جَـدَّدَ العَهْـدَ خَـاطِرٌ مُسْـتَجِدُّ

لَـيسَ يَـبْلَى وِدَادُهُ أَبَـدَ الدَّهْـــرِ عَـلَى أَنَّـهُ بِنَـاءٌ وَهَـدُّ

كَيـفَ أَسْـطِيعُ أَنْ أُقِـيمَ عَـلَى الهَـدْ ... مِ ، وَفِي جَـانِبَيَّ مِـنْ ذَاكَ وَقْـدُ ؟!!(١)

وَأَخٍ سَـاقَهُ النَّـوَى عَـنْ أَخِيـهِ ... بَعْـدَمَا شَـدَّ بَـينَ قَلْبَـينِ وُدُّ

وجَـرَى الحُـبُّ فِي دِمَـاءِ الأَمَـانِي ... كَشُـعَاعِ الضُّـحَى يَسُـوقُ وَيَحْـدُو

نَغَـمَاتٌ أَلَـذُّ مِـنْ نَغَـمِ الـرَّو ... ضِ إِذَا عَـادَهُ النَّسِـيمُ المُجِـدُّ

وَنَشِـيدٍ أَحْـلَى سَـمَاعًا مِـن الأُمِّ ... إِذَا هَدْهَـدَتْ جَنَاهَـا فَتَشْـدُو(٢)

وَخَيَـالٍ أَرَقُّ مِـنْ قُبَـلِ الخَلْـــسِ وَأَزْهَـى مِنْ خَدِّ عَذْرَاءَ تَعْدُو

---

(١) الوقد : النار ، والوقدة : أشد الحر .

(٢) هدهدت : من هدهد الصبي : حركه لينام .

آهِ كُـلُّ الَّـذِي وَصَـفْتُ سَـيَأْتِي كُـلُّ مَـا فِي الحَيَـاةِ نَـاءٍ مُجِـدُّ
فِيـهِ رُوحُ البَـيْنِ الَّتِـي تَحفِـزُ السَّـاكِنَ حَتَّـى يَثُـورَ ، لَا يُسْـتَرَدُّ
كَـمْ جَمَالٍ قَوَامُـهُ البَـيْنُ ، لَـوْلَا البَيْـنُ لَمْ يَعْـرِفِ الوَسَـامَةَ بَعْـدُ
لَـيسَ يَبْكِـي الشَّـبَابَ إِلَّا مُجِـدٌّ نَحْـوَ لَحْـدٍ وَنَحْـوَهُ جَـدَّ لَحْـدُ

لَسْـتُ أَنْسَـى ، وَإِنْ تَقَـادَمَ عَهْـدٌ وَمَضَـى هَـازِلٌ وَأَقْبَـلُ جِـدُّ
لَسْـتُ أَنْسَـى ، عَـلَى البِعَـادِ وَإِنْ كَـانَ النَّـوَى يَنْسَـخُ المَـوَاضِي وَيَعْـدُو
مَـا لَقِينَـا فِـيمَا لَقِينَـا مِـنَ الدَّهْـرِ كَمِثْـلِ النَّـوَى ؛ فَـمَا مِنْـهُ بُـدُّ

بَيْـنَمَا المَـرْءُ بَـيْنَ نَـايٍ وَعُـودٍ وَقِيَـانٍ ؛ يَـرُوحُ يَومـاً وَيَغْـدُو ...
فَـإِذَا هُـو عَـلَى جَنَـاحٍ مِـنَ البَيْـنِ سَرِيـعٍ ؛ وَالبَـيْنُ فِي الطَّـيْرِ جَلْـدُ
رُبَّ حَسْـنَاءَ لَمْ تَـذُقْ أَلَمَ العَيْـشِ ، وَلَمْ يَأْتِهَـا عَـلَى اللِّـينِ كَـدُّ ...
دَخَلَـتْ رَوضَـةً فَغَنَّـتْ طُيُـورٌ وَذَوَى نَـرْجِسٌ وَأَنْضَـرَ وَرْدُ ...

ذَاتُ عَـينٍ مَرِيضَـةِ الطَّـرْفِ وَسْنَى　　وَجَبِـينٍ يُضِـيءُ وَاللَّيـلُ فَـرْدُ

حَفَّـهُ نَـاعِمٌ مِـنَ الشَّـعَرِ الْمُسْـوَ　　دِّ يَسْـبِيكَ فَـاحِمٌ مُسْـوَدُّ

وَبَنَـانٌ رَخْـصٌ ، وَزِنْـدٌ رَوِيٌّ　　وَنُهُـودٌ بِمَـن يَـرَى تَسْـتَبِدُّ[1]

إِنْ تَكُـنْ قُـدِّرَتْ مِـنَ اللِّـينِ إِلَّا　　أَنَّهَـا لِلقُلُـوبِ لَيـثٌ أَلَـدُّ[2]

مَـا رَأَيْنَـا شَـيئًا رَآهَـا فَلَـمْ يَعْـنُ ، وَلَمْ يَنْكَسِـفْ لَهَـا حِـينَ تَبْـدُو[3]

قَـدْ عَجِبْنَا مِـنَ النَّـوَى ؛ كَيـفَ يَسْـطِيعُ لِقَاهَـا !! وَأَنَّهَـا لَا تَصُـدُّ

❊ ❊ ❊

---

(١) رخص : ناعم .

(٢) ألد : الطويل الأجذع من الإبل ، والخصم الشحسح الذي لا يزيغ إلى الحق .

(٣) يعن : من عنوت فيهم عنوًا وعناء : صرت أسيرًا .

لَــيسَ مَـــنْ يَبْكِــي لِعَيْنَـــيَّ ، وَمَـــنْ يَفْقَـــهُ عَنِّـــي ...

غُرْبَـــةٌ بِالــــدَّارِ وَالعَقْـــلِ ، وَمَـــا مِـــنْ مُسْـــتكِنِّ

رَحْمَـــةً بِـــاللهِ !! يَـــا رَاحِـــمُ !! أَنْ تَجْـــبُرَ وَهْنِـــي

مَـــاتَ قَلْبِـــي ، وَذَوَتْ آمَـــالُ نَفْسِـــي فِي التَّظَنِّـــي[1]

خَرِبَـــتْ دَارٌ مِـــنَ الحُسْـــنِ ... ، وَلَكِـــنْ ؛ أَيُّ حُسْـــنِ !!

صَـــوَّحَ الـــرَّوْضُ وَقَـــدْ فَـــرَّ نَـــدِيمُ الـــنَّفْسِ مِنِّـــي

وَغَـــدَتْ كَـــأْسِي رُفَاتـــاً وَأَتَـــى التَّحْطِـــيمُ دَنِّي

كُنْـــتُ أَبْنِـــي ... ! ثُـــمَّ لَمْ أُلْـــفِ بِنَـــاءً كُنْـــتُ أَبْنِـــي

لَيتَنِـــي لَمْ أُنْفِـــذِ العَـــزْمَ ... وَلَكِـــنْ ... لَيـــتَ أَنِّي

ثُـــمَّ لَمْ أَجْـــنِ سِـــوَى الأَتْعَـــابِ وَالسُّـــقْمِ المُـــبِنِّ

وَصَـــحِبْتُ الخَلْـــقَ خَـــيرٌ مِـــنْ فَتَـــاهُمْ شَرُّ جِـــنِّ

إِنَّـــمَا أَرْجُـــو التَّغَـــاضِي عَـــن بَنَـــانِيَّ وَسِـــنِّي

❋ ❋ ❋

---

(١) التظني : إعمال الظن ، وأصله التظنن .

- ١٨ -

يَا سَاكِنِي مِصْرَ حَيَّتْكُمْ مُوَاصِلَةٌ ... مِنَ الرَّسَائِلِ مِثْلُ الرَّوضِ رَيَّانَا
تَحُثُّهَا مُحْدَثَاتُ البَينِ طَائِرَةً ... لَيسَتْ بِفَاتِرَةٍ حَتَى تَرَى البَانَا
بِشَاطِئِ النِّيلِ رَيْعَانَاً ، وَمُمْتَلِئَاً ... عَنِ الكَمَائِمِ مُفْتَرًّا ، وَمُزْدَانَا
وَكُلُّ نَجْمٍ تَحَلَّى نَضْرَةً وَسَنًا ... وَأُلْبِسَ النُّورَ أَسْمَاطًا وَتِيجَانَا
وَلَفْحَةٌ مِثْلُ مَا يَلْقَى حَلِيلَتَهُ ... فَتَىً تَغَيَّبَ عَنْهَا عِنْدَمَا بَانَا
تُحِبُّهُ ، وَتُفَدِّيهِ ، وَتُؤْثِرُهُ ... بِالنَّفْسِ نَفْسَاً وَبِالإِنْسَانِ إِنْسَانَا
عِنْدَ التَّلَاقِي تَرَى الأَجْوَاءَ حَامِلَةً ... مِنَ التَّحِيَّةِ أَرْوَاحَاً وَرَيْحَانَا
مَا مِثْلُ ذَلِكَ إِلَّا عِنْدَ آيِبَةٍ ... بِصَاحِبٍ لَكَ ، بَعْدَ البَينِ أَزْمَانَا

❋ ❋ ❋

- ١٩ -

وَلِلـدَّهْرِ حَـالَاتٌ شِـدَادٌ مَرِيـرَةٌ تُحَطِّـمُ عُـودِي ، أَو تُمِـرُّ لِسَـانِي[(١)]

إِذَا أَنَـا لَمْ أَثْبُـتْ لَهَـا ، غَـيرَ صَـاغِرٍ وَلَمْ أَحْتَمِلْهَـا ، رَاضِـيًا بِمَكَـانِي

وَقَـدْ كُنْـتُ جَلْـدًا لَا أَلِـينُ لِغَـامِزٍ وَلِي بِمُلِـمَّاتِ الأُمُـورِ يَـدَانِ

أَعَـفُّ عَـنِ الشَّـيءِ الدَّنِيءِ تَرَفُّعـاً وَأَثْبُـتُ تَحتِـي هِـزَّةُ الرَّجَفَـانِ

إِذَا المَرْءُ لَمْ يَصْـمُدْ ، وَلَمْ يَـكُ صَـابِرًا فَفِـيمَ يُرَجِّـي لَـذَّةَ الحَيَـوَانِ[(٢)]

* * *

---

(١) تمر لساني : أي تعقل لساني أو تعقده بشد وقوة .

(٢) الحيوان : الحياة .

- ٢٠ -

طَلَــبٌ قَــدْ بَــانَ لِي وَضَــحَا   أَنَّــهُ حَــقٌّ، عَــلَى غَــرَرِهْ

إِنَّــمَا مَــوْتِي وَمَهْلَكَتِــي   أَنَّنِــي لَمْ أُوتَ مِــنْ ثَمَــرِهْ

حِــينَ لَمْ يَبْــقَ لِــذِي وَطَــرٍ   أَنْ يُرَجِّــي الــبَعْضَ مِــن وَطَــرِهْ

مــــن لمخلــــوق منيَّتــــه   تَتَقَفَّــــاهُ عَــــلَى أَثَــــرِهْ !!

❋ ❋ ❋

- ٢١ -

ذِكْـــرَى الـــدِّيَارِ تَهِـــيجُ الحُبَّـــا حُبّـــاً يَكُـــونُ لِقَلْبِـــهِ قَلْبَـــا

خَفِقَـــانِ يَجْتَمِعَـــانِ فِي جَسَـــدٍ شَـــابَتْ مَنَايَـــاهُ وَمَـــا شَـــبَّا

❊ ❊ ❊

- ٢٢ -

أَصَـــابَ مِنْـــهُ غَفْلَـــةَ الغَافِـــلِ فَسَدَّا

وَأَطْلَـــقَ السَّـــهْمَ عَـــلَى الخَـــاذِلِ فَأَقْصَدَا

قَلْبـــاً مَـــلِيَّ الوَفَـــاءِ وَالكَـــرَمِ

إِذَا أَتَتْـــهُ العُهُـــودُ لَمْ يَـــنَمِ

يَجُـــوزُ مِـــنْ نَـــازِحٍ إِلَى أَمَـــمِ (١)

وَمُجْهَـــلٍ مُنْكَـــرٍ إِلَى عَلَـــمِ

يَـا وَيـحَ مَـنْ بَـاتَ فِي الهَـوَى مِزَقَـا

وَهَـــذِهِ الحَـــالُ حَـــالُ مَـــنْ عَشِـــقَا

رَبِّ أَعِنْـــهُ عَـــلَى وَطِـــيسِ شَـــقَا

وَارْحَمِ

(١) الأمم: القرب، والبين من الأمر.

الطَّـــيرُ فَـــوقَ الغُصْـــنِ المَائِـــلِ تغَرَّدَا

وَالمَـــاءُ تَحْـــتَ الغُصْـــنِ النَـــازِلِ تَرَدَّدَا

وَالشَّـــمْسُ بَـينَ الغُصُـونِ وَالشَّـجَرِ

وَالغِيـــدُ بَـــينَ الظِّـــلَالِ وَالثَّمَـــرِ

مِثْـــلُ حَنَايَـــا الضُّـــلُوعِ فِي النَّظَـــرِ

وَالقَلْـــبُ فِيهَـــا كَالطَّـــائِرِ الأَشِرِ (١)

وَمَـــدْمَعُ العَـــينِ مُسْـــبَلٌ غَـــدَقَا

وَالشَّـــمْسُ وَجْـــهُ الحَبِيـــبِ إِذَا شَرَقَـــا

فَـــأَينَ مَـــنْ يَسْـــتَظِلُّ وَالرُّفَقَـــا ؟!

فِي الدَّمِ

* * *

(١) الأشر : من أشر فهو أشر : مرح ، أو نشط .

إِيـهِ يَـا نَفْسُ !! قَـدْ قَضَـيتِ زَمَانًـا فِي الأَمَـــانِيِّ ؛ إِنَّهَــا أَحْــلَامُ
لَمْ تَكُــنْ هَــذِهِ الأَمَــانِيُّ حَــدِيثًا ؛ وَالأَحَادِيـــثُ خَطْــبُهُنَّ لِـــمَامُ
كَانَ فِعْلاً ... مَـا قَـدْ تَمَنَّيتِ بِالأَمْـــــسِ ؛ وَمَـا كَـانَ شَـأْنَكِ الإِحْجَامُ
تَأْسَـفِينَ اليَـومَ الَّــذِي زَالَ فِيــهِ عَــنْ خَبَايَـا الأُمُـورِ ذَاكَ الغَـمَامُ !!
نَصَحَ النَّاصِحُونَ ... هَلَّا أَطَعْتِ النُّـــــصْحَ مِـنْ وَالِـدٍ لَـهُ الأَحْكَـامُ !!
أَكْثَـرَ القَــائِلُونَ حَتَّــى أَطَــالُوا ثُــمَّ مَلُّــوا ... وَغَـادَرُوكِ وَقَـامُوا

ذَاكَ عَهْـدُ الشَّـبَابِ تَسْـتَأْثِرُ النَّفْـــــسُ وَمَــا إِنْ يَـرُدَّ مِنْهَـا المَـلَامُ
حِـينَ تَهْـوِي إِلَى المُـرَادِ كَـمَا يَهْـــــوِي إِلَى الصَّـيْدِ فَاتِـكٌ ضِرْغَـامُ
لَا تُبَـالِي بِـالرَّوضِ كَـانَ نَضِـيرًا وَاللَّيَــالِي ، وَالخُــدَّامُ ، وَالأَيَّــامُ
وَقُلُــوبٌ تَحُفُّهَــا ، وَتَــرُدُّ السُّـــــوءَ عَنْهَـا ، وَالحَادِثَـاتُ نِيَـامُ
وَالِـدٌ مُشْـفِقٌ ، وَأُخْـتٌ حَنُـونٌ وَأَخٌ لَيلُـــهُ عَلَيهَــا قِيَــامُ

آنَ أَنْ تَـذْرِفي الـدُّمُوعَ سِـجَامًا وَتَنُـوحِينَ مَـا يَنُـوحُ الحَـمَامُ

وَتُبَكِّـينَ لِلَّيَـالِي المَـوَاضِي ؟!! وَالبَـوَاقِي خُطُـوبُهُنَّ جِسَـامُ

عَجَبـاً لِلشَّـبَابِ ، لاَ يَتَـأَنَّى حِـينَ تَبْـدُو المُنَـى وَلَا يَعْتَـامُ(١)

وَالأَصَـابِيغُ خَادِعَـاتٌ لِئَـامٌ وَالبَـوَادِي مِـنَ الأُمُـورِ جَهَـامُ(٢)

لِلفَتَـى فِي الحَيَـاةِ نَظْـرَةُ مَـنْ يَـطْلُبُ حُسْنًا كَالشَّمْسِ مَا فِيهِ ذَامُ(٣)

وَيَـرَى أَنَّ فِي الحَيَـاة مِـنَ السُّـوءِ خَلِيطـاً رُكُوبُـهُ آثَـامُ

آهِ !!! لَكِـنْ مَضَـى زَمَـانُ التَّصَـافِي وَزَمَـانُ التُّقَـى عَلَيْنَـا حَـرَامُ

❋ ❋ ❋

---

(١) يعتام : من عتم : كف عن الشيء بعد المضي فيه ، أو احتبس عن فعل شيء يريده .

(٢) الجهام : السحاب لا ماء فيه ، أو قد هراق ماءه .

(٣) ذام : عيب يذم على فعله .

لَغِبَــتْ بِالمَطَالِـبِ الأَحْيَــاءُ   وَتَـرَدَّتْ رِجَالُهـا الرُّحْضَـاءُ[١]
كُـلُّ مَـنْ طَالَـبَ الزَّمَـانَ بِحَـقٍّ   عَارَضَـتْهُ الأَغْـرَاضُ وَالأَهْـوَاءُ
وَرَمَـاهُ العُـدُوُّ ؛ جَهْـلاً بِـمَا بَيَّـ   ـتَ بِالسُّـوءِ ، وَهْـوَ مِنْـهُ بَـرَاءُ
وَيَضِـجُّ السَّـقِيمُ مِـنْ أَلَمِ الـدَّا   ءِ وَيُـؤْذِي الطَّبِيـبَ وَهْـوَ دَوَاءُ
لَـيسَ مِـنْ نَاصِـحٍ ، وَلَا مَـنْ وَفِيٍّ   أَخْطَأَتْـهُ العَـوْرَاءُ وَالبَغْضَـاءُ[٢]

غَــيرَ أَنِّي أَرَى الحَيَـاةَ وَإِنْ كَـا   نَـتْ نُـدُوبًا ، أَوْلَى بِهَـا الإِغْضَـاءُ[٣]
لَا تَضِـيعُ الجُهُـودُ مَهْـمَا اسْـتُخِفَّتْ   سَـوفَ يَـأْتِي يَـومٌ بِهَـا يُسْتَضَـاءُ
كُـلُّ مَـا قُلْتُـه سَـيَبْقَى عَـلَى الدَّهْـ   ـرِ وَإِنْ قُلْـتَ كُـلُّ ذَاكَ هَبَـاءُ
فِي مَـدَى الأُفْـقِ خَـازِنٌ فَـإِذَا مَـا   طَلَـبَ الـذُّخْرَ كَـانَ مِنـهُ الأَدَاءُ

قُـمْ فَنَـادِ النِّيَـامَ ؛ هُبُّـوا فَقَـ   ـدْ طَـالَ رُكُـودُ النِّيَـامِ وَالإِغْفَـاءُ
إِنْ أَجَـابُوا ، فَقَـدْ قَضَـيتَ حُقُوقـاً   أَو أَشَـاحُوا فَـمَا عَلَيـكَ القَضَـاءُ

---

(١) لغبت : تعبت .

الرحضاء : العرق إثر الحمى .

(٢) العوراء : الكلمة أو الفعلة القبيحة .

(٣) الإغضاء : من غضى طرفه واحتمل المكروه .

- ٢٥ -

غَـدْرُ الأَنَـامِ مِـنَ الأَدْوَاءِ لَـيسَ لَهَـا طِـبٌّ ، وَلَـيسَ لَهَـا رَاقٍ وَلَا نَـافِي
وَصَاحِبُ الغَـدْرِ لَا تَلْقَـاهُ ذَا كَشَـرٍ وَلَيسَ بِالعَابِسِ المُبْـدِي ، وَلَا الجَـافِي
يَلِـينُ كَالحَيَّـةِ الرَّقْطَـاءِ قَاتِلَـةً بِالسُّـمِّ مِـنْ لِـينِ أَنْيَـابٍ وَأَعْطَـافِ
حُلْوُ الحَدِيثِ ، مَرِيرُ السِّرِّ ، ذُو دَغَـلٍ مَـا بَـينَ حُلْـوٍ وَمُـرٍّ لَحْـدُ آلَافِ[1]

❋ ❋ ❋

(١) ذو دغل : الدغل : الحقد المكتتم .

بَـاتَ يَبْكِـي بِـدَمْعِ عَـينٍ سَـخِينٍ وَفُـؤَادٍ يَسْـخُو بِحَـرِّ الـدِّمَاءِ
يُرْسِـلُ الأَنَّـةَ الشَّـجِيَّةَ فِي جَـو فِ ظَـلامٌ كَظُلْمَـةِ الـدَأْمَاءِ(١)
مَـا يَـرَى مِـن مُكَفْكِـفٍ دَمْـعَ عَيْنَيْـهِ وَلَا قَلْبِـهِ سِـوَى الظَّلْـمَاءِ

❊ ❊ ❊

(١) الدأماء : البحر .

منطق الأشواق (١)[1]

يَا مَنْطِقَ الشَّوقِ ! بَلِّغْ ؛ لَا تَكُنْ وَجِلاً وَاحمِلْ هَوَايَ بِأَلْفَاظٍ وَوِجْدَانِ

لَا تَعْدُ فَاهُ ، فَقَبِّلْهُ عَلَى مِقَةٍ وَعَاطِهِ الكَاسَ مَمْزُوجاً بِرَيحَانِ[2]

وَانْثُرْ عَلَيهِ مِنَ الأَزْهَارِ مُورِقَةً تَخْتَالُ في بُرْدِ أَعْرَافٍ وَأَلْوَانِ[3]

❊ ❊ ❊

---

(١) أرخ لها الشاعر في ٢٧ شعبان سنة ١٣٤٧هـ ، ٧ فبراير سنة ١٩٢٩م .

(٢) مقة : المقة : المحبة .

(٣) أعراف : جمع عرف ، الرائحة الطيبة .

منطق الأشواق (٢)

تَعَال نَمِلْ وَالشَّوقَ حَيثُ يَمِيلُ فَإِنَّ حَدِيثَ النَّازِحِينَ طَوِيلُ
وَتَعْدُو اللَّيَالِي وَهيَ عَادِيَةٌ بِنَا وَهَا هِيَ مِنْهَا نِيَّةٌ وَرَحِيلُ
وَنَسْأَلُهَا كَفَّ الأَذَى بِرِسَالَةٍ تُنَمْنِمُهَا كَفٌّ نَجَتْ وَطُلُولُ
لَعَلَّ البَوَاقِي لَن تَفُوتَ بَقِيَّةً فَتَفْجَؤُهَا ، وَالنَّائِبَاتُ تَغُولُ

تَعَالَ ؛ فَهَذَا مَنْطِقُ الشَّوقِ مُفْصِحٌ وَلَيسَ بِه مِلْعِيّ حِينَ يَقُولُ(١)
بَرِيءٌ كَأُمِّ الصُّبْحِ مِنْ كُلِّ رِيبَةٍ جَمِيلُ الهَوَادِي شَبَّ وَهوَ جَمِيلُ(٢)
وَيُزْهِرُ فِي تَرْجِيعِهِ مِن مُفَوَّفٍ يَؤُوبُ إِلَيهِ المُشْتَهَى وَيَؤُولُ(٣)
أَصَابِيغُ أَلْوَانِ الجَمَالِ فُضُولُهُ وَإِعْجَازُهُ الأَرْوَاحُ فِيهِ تَجُولُ

(١) ملعي : لعلها من العي ، أدغمت النون مع اللام .

(٢) كأم الصبح : من أسماء مكة ، كما جاء في المرصع ، ص ٢٢٠ ، وفي شفاء الغرام ١/ ٤٧ .

الهوادي : لعله من التهويد ، السكون في المنطق ، أو من المهاودة : الموادعة والمصالحة والمعاودة .

(٣) مفوف : يقال ثوب مفوف : رقيق فيه خطوط بيض .

عَلَيــهِ مِــنَ الأَيَّــامِ حُسْــنُ وَدَادَةٍ رَعَتْهَــا وَقَــدْ نَامَــتْ ، وَنَــامَ أَكُــولُ
فَأَصْــبَحَ وَالأَلْفَــاظُ عَنْــهُ شَجِيَّةٌ لَهَــا فَــوقَ هَامَــاتِ الفِــرَاقِ هَـدِيلُ
إِذَا ثَقِفَتْــهُ الأُذْنُ سَــاعَةَ نُطْقِــهِ غَــدَتْ مِــنْ حُمَيَّــاهُ إِلَيــهِ تَمِيــلُ (1)
فَيَا مَنْطِقَ الأَشْوَاقِ حُيِّيتَ مَنْطِقاً فَأَنْــتَ إِلَى هَــذَا المَسَاتِ رَسُــولُ
تَبُثُّ حَيَـاةً في العِظَـامِ وَقَـدْ غَـدَتْ سَــواكِنَ بِيضــاً مَــا لَهُــنَّ عَوِيــلُ

جَــزَى اللهُ أَيَّــامَ الفِــرَاقِ فَإِنَّهَــا تَــدُبُّ إِلَى أَغْيَالِنَــا فَتَصُــولُ ... (2)
دَبِيــبَ الأَفَــاعِي مَــا تُحِسُّ دَبِيبَهَــا وَمَــا هِــيَ إِلَّا زَأْرَةٌ ، فَغُلُــولُ
عَـلَى حِـينِ تَسْـقِينَا المَلَاعِـبُ دَرَّهَـا وَتُسْكِرُنَا مِـن حُسْـنِهِنَّ شَـمُولُ (3)
بِكَـأْسٍ عَـلَى حَافَاتِهَـا حَبَـبُ الهَـوَى فَنكَــرَعُ حَتَّــى تَنْتَهِي ، فَنكِيــلُ (4)

---

(1) ثقفته : سمعته .

حمياه : الحميا : ما يكون في حوزة الإنسان ، أو ما وليه .

(2) أغيالنا : الغيل : كل واد فيه عيون تسيل ، أو كل موضع فيه ماء وشجر كثير .

(3) درها : الدر : اللبن وسيلانه وكثرته .

شمول : الخمر أو الباردة منها .

(4) الحبب : الفقاقيع التي تطفو على سطح الشراب .

فَتُوقِظُنَـا مِـنْ رَقْـدَةٍ لَمْ نَجِـدْ لَهَـا ... بَدِيلاً ؛ وَهَـلْ لِلْمُفْرِحَـاتِ بَـدِيلُ ؟!

أَبَى البَيْنُ إِلَّا أَنْ يَصُولَ ؛ وَمَـا الَّـذِي ... يَـرُدُّ صِـيَالَ البَـيْنِ حِـينَ يَجُـولُ ؟!

أَعُصْـفُورَةٌ فَـوقَ الغُصُـونِ مُرِنَّـةٌ ... وتَبْكِي ، كَمَا تَبْكِي الُمحِـبَّ طُلُـولُ(١)

لَهَـا جَسَـدٌ نِضْـوٌ دَقِيـقٌ كَأَنَّـهُ ... عَـلَى العُـودِ عُـودٌ بِـالهُمُومِ قَـؤُولُ(٢)

وَيَحْسَبُهَا غَـيرِي طَروبًـا ، وَمَـا دَرَى ... وَإِنِّي - إِذَا مَـا خِلْتُهَـا - لَجَهُـولُ

فَبِـي وَبِهَـا مِمَّـا أَلَمَّ مَشَـابِهٌ ... أَأُنْكِرُهَـا ؟! إِنِّي إِذَنْ لَكَلِيـلُ ...(٣)

وَمَـا يُنْكِـرُ النَّـاسُ التَّشَـابُهَ بَينَنَـا ... وَكَيـفَ وَهَاتَـا رَنَّـةٌ وَعَويـلُ(٤)

كِلاَنَـا نَحِيـلٌ ؛ غَـيرَ أَنَّ ظِلاَلَهَـا ... عَـلَى كُـلِّ عُـودٍ طَـائِرٌ وَحَلُـولُ(٥)

وَإِنِّي نَزِيـلٌ لَا أَطِـيرُ ، يُظِلُّنِـي ... مِنَ البَـينِ ظِـلٌّ دَائِـمٌ ... وَظَلِيـلُ !!

---

(١) مرنة : من رن يرن رنينًا : صوت وصاح .

(٢) نضو : هزيل .

(٣) مشابه : من الشبه : المثل .

(٤) علق الشاعر في الأصل على هذه الكلمة فقال : اعترض بعض الإخوان علي قول (هاتا) بأن الصواب (هاتان) ، وشاهده قول كعب بن سعد الغنوي :

وخبرتماني أنما الموت بالقرى ... فكيف وهاتا هضبة وكثيب

(٥) حلول : مقيم .

أَعُصْفُورَةَ الوَادِي ! تَغَنَّيْ فَإِنَّنِي ... لِلَحْنِكِ مُشْتَاقُ الفُؤَادِ عَجُولُ
عَنَائِي طَوِيلٌ ؛ عَلَّ لَحَنَكِ مُسْعِدِي ... فَلَا تَبْخَلِي إِنِّي إِلَيْكِ بَذُولُ
إِلَيكِ .. فَهَذَا مَنْطِقُ الشَّوقِ فَاسْمَعِي ... بُكَاءَ القَوَافِي ؛ إِنَّهَا لَثَكُولُ
لَهَا عَبْرَةٌ تَجْرِي بُحُورًا حِذَاءَهَا ... جَدَاوِلُ مِن حُمْرِ الدِّمَاءِ تَسِيلُ
فَيَشْتَكِيَانِ الهَمَّ إِمَّا تَلَاقَيَا ... وَيَجْرِي حَدِيثُ الدَّمْعِ ثُمَّ يَطُولُ
فَيَا قَيْنَةَ الأَغْصَانِ غَنِّي وَطَرِّبِي ... وَلَا تَبْخَلِي ؛ إِنَّ الفَقِيرَ بَخِيلُ
وَمَا لَحِقَتْ - وَالحَمْدُ لله - خَلَّةٌ ... بِوَفْرِكِ ؛ فَابْكِي إِنَّنِي لَحَمُولُ[1]
وَلَا تُشْفِقِي ! إِنَّ الفُؤَادَ عَلَى البُكَا ... حَنُونٌ ، وَطُرَّاقُ الهُمُومِ تَزُولُ[2]
وَلَا تُشْفِقِي ؛ إِنَّ الفُؤَادَ عَلَى البُكَا ... جَلِيدٌ ، وَأَطْرَافُ الفُؤَادِ عُقُولُ[3]
وَصَوتُكِ يُحْيِي مِنْ فُؤَادِي مَوَاتَهُ ؛ ... وَكَم حَيَّ منْ بَعْدِ الظُّنُون قَتِيلُ !![4]

---

(١) خلة : الحاجة والفقر .
بوفرك : الوفر : الغنى .
(٢) طراق : الطارق الذي يأتي بليل .
(٣) عقول : من عقل الشيء فهمه ؛ فهو عقول .
(٤) حي : الأصل : حيي ، وهنا أدغم بين الياءين .

أَبَا الفَضْلِ هَذَا مَنْطِقُ الشَّوقِ إِنْ يَكُنْ فَصِـيحًا ، فَقَـدْ وَافَـاكِ وَهـوَ ذَلُـولُ

سَرَى فِي لِسَـانِي حِقْبَـةً غَـيرَ ظَـالِعٍ كَلِيـلٍ ؛ وَهَـذَا قَـدْ زَعَمْـتُ رَحِيـلُ

أَبَا الفَضْلِ لَا تَنْسَ العُهُـودَ وَحُسْـنَهَا وَلَا الـدَّهْرُ يَحْمِـي مَـرَّةً وَيُنِيـلُ

وَلَا الصَّـدْرَ مَضْـمُومًا إِلَى مَـنْ يُحِبُّـهُ وَنَجْـوَى قُلُـوبٍ سِرُّهُـنَّ نَبِيـلُ

فَـلَا خَـيرَ مـن بَعْـدِ الفِـرَاقِ وَيَومِـهِ إِذَا أَنْـتَ لَمْ يَـذْكُرْكَ بَعْـدُ خَلِيـلُ

أَلَا إِنَّ فِي قَلْبِ الغَرِيـبِ عَـلَى النَّـوَى حَنَانـاً لَـهُ بَـينَ الضُّـلُوعِ مَقِيـلُ

فَيَـأْوِي مَشُـوقًا ، ثُـمَّ يَـنْهَضُ مُـدْنَفًا لَـهُ اللهُ ! إِنَّ المُسْـعَدِينَ قَلِيـلُ

❋ ❋ ❋

لَهُم شَأنُهُم ، وَلَهُ شَانُهُ | وَقَدْ هَدَّ في القَلْبِ سُكَّانُهُ[١]
طَويتُ عَلَى مِثْلِ جَمْرِ الغَضَا | شَجِيَّ الفُؤَادِ وَأَسْوَانُهُ[٢]
غَرِيبٌ عَنِ الدَّارِ ذُو حَنَّةٍ | تَبَاعَدَ وَاشْتَطَّ سِلْوَانُهُ[٣]
فَأَينَ لَهُ طُرْبَةٌ بَعْدَهَا ؟! | وَأَينَ لَهُ اليَومَ نِسْيَانُهُ ؟!
وَمَا يَفْتُرُ المَرْءُ عَنْ ذُكْرَةٍ | فَتُوقَدُ فِي القَلْبِ نِيرَانُهُ
يُؤَرِّثُهَا هَمُّهُ تَارَةً | وَأُخْرَى يُؤَرِّثُهَا شَانُهُ
وَأَعْجَبُ مِنْ دَمْعَةٍ إِنَّهَا | وَقُودُ اللَّهِيبِ وَعِيدَانُهُ

لَهُمْ شَأنُهُمْ وَلَهُ شَانُهُ | إِذَا لَبِسَ اللَّيلَ إِدْجَانُهُ[٤]
إِذَا اخْتَلَفَ الحَالُ لَمْ يَجْتَمِعْ | شُكُورُ العَطَاءِ وَكُفْرَانُهُ

(١) أرخ الشاعر لهذه القصيدة في ٣ شوال ١٣٤٧هـ .

(٢) أسوانه : من الأسى والحزن .

(٣) ذو حنة : من الحنين .

(٤) إدجانه : ظلمته .

وَلَـيسَ كَلَابِـسِ رَثِّ الثِّيَـا ... بِ مَـنْ عَلِـتِ الـرَّأْسَ تِيجَانُـهُ

وَلَـيسَ المُقِـيمُ عَـلَى حَالَـةٍ ... كَمَـنْ تَتَلَـوَّنُ أَلْوَانُـهُ

إِذَنْ فَلَـدَيَّ لَهُـمْ قَالَـةٌ ... لَهُـمْ شَـانُهُمْ وَلَـهُ شَـانُهُ

❊ ❊ ❊

يَـا مَعِـينَ الهُمُـومِ !! هَـلَّا تَلَبَّثْـــــــتَ قَلِـيلاً حَتَّـى يُقَضَّـى الرُّقَـادُ !!
يَـا مَعِـينَ الهُمُـومِ !! حَسْـبِي فَقَـدْ زِدْ تَ وَزَادَ البُكَــاءُ وَالتَّسْــــهَادُ

قَــدْ رَضِـينَا مِـنَ الحَيَـاةِ بِـمَا لَمْ يَــرْضَ عَنْـهُ النُّشُـوءُ وَالمِـيلَادُ
قَــدْ حَمَلْنَـا مِـنَ الحَيَـاةِ وُسـوقًا ثَقُلَـتْ ، وَالحَيَـاةُ طُـرًّا جِهَـادُ[1]
لَـيسَ يُجْـدِي - إِذَا ضَـجِرْتَ وَأَرْغَيْــــــتَ هُنَـاكَ الإِرْغَـاءُ وَالإِزْبَـادُ[2]
آدَمٌ حُمِّــلَ الحَيَــاةَ فَـمَا نَـا ءَ ، فَعَيْــبٌ إِنْ غَـالَ صَـبرًا نَفَـادُ
لَـيسَ مَـنْ كَـانَ نَافِـدَ الصَّـبْرِ يُرْجَـى لِرَشَـادٍ ، لَا ضَـلَّ عَنْـكَ الرَّشَـادُ

غَافِـلٌ عَـنْ حَقَـائِقٍ نَـيِّرَاتٍ مَن دَعَـا اليَـأْسُ ، فَاسْـتَجَابَ الفُـؤَادُ

❋ ❋ ❋

---

(١) وسوقًا : جمع وسق ، والوسق : ستون صاعًا ، أو حمل بعير ، والمراد : الحمل الثقيل والكثير .
(٢) وأرغيت : صَوَّت ؛ من رغا الصبي إذا بكى أشد البكاء .
الإرغاء : في اللبن صارت له رغوة أو زبد .

يَـا زَائِـرًا بَعْـدَ الظَّـلَامِ تَحِيَّـةُ الصَّـبِّ الضَّـعِيفِ

جَـمِّ البَلَابِـلِ مُرْهَـقِ الأَعْـوَادِ ذُو نَفَـسٍ عَـزُوفِ

صَـدْرٌ صَـغِيرٌ لِلهُمُـومِ بِـه بِنَـا قَصْـرٍ مُنِيـفِ

إِنْ قَـامَ بِـالزَّفَرَاتِ أَقْعَـدُهُ البِنَـاءُ عَـلَى نَحُـوفِ

مِيزَانُـهُ القَلْـبُ الخَفُـوقُ ، عَـلَى عَلَائِـقَ مِـنْ حُتُـوفِ

❋ ❋ ❋

- ٣٢ -

أَلا تُبْصِرُ العَينُ طَيفَ الحَبِيبِ ؟!   أَلا تَسْمَعُ الأُذْنُ حَتَّى الصَّدَى ؟!

أَلا مدَّ مِنْ كَفِّهِ رَاحَةً   عَلَى البَينِ أَلقَى إِلَيهَا يَدَا ؟!

أَلا ، مَا أَلا ؟ أَمَا ، مَا أَمَا ؟   رَضِيتُ السُّهَادَ رَضِيتُ الرَّدَى

دَعِ اللَّومَ ، لَو كَانَ لِي رَاحَةٌ   عَلَى اللَّومِ - كُنْتُ لَهَا وَارِدَا

دَعِ اللَّومَ ، يَا عَقْلُ ! حَتَّى مَتَى   تَلُومُ وَتَعْنُفُ في ذَا الهُدَى

تَقُولُ : يَغِيبُ ، وَيَغْدُو عَلَيك   فَهَلَّا تَغِيبُ بَعيدَ المَدَى !!

فَدَعْني ، وَإِلَّا دَعِ اللَّومَ عَنْك   وَذَكِّرْ بِيَومِي وَانْسَ الغَدَا

❋ ❋ ❋

عَقِيلَـةُ المَـرْءِ مَـا يَحوِيـهِ مِـنْ خُلُـقٍ سَـمْحِ الطَّلِيعَـةِ فِي سِرٍّ وَإِعْـلَانِ[١]
كَالرَّوضِ فِي نَعْمَةٍ وَالرُّوحِ فِي لَطَـفٍ وَالمَـاءِ يُـبْرِدُ مِـن غُـلَّاتِ ظَمْـآنِ
يُحِيي المَوَدَّةَ بِالحُسْنَى فَـإِنْ غَرِضَـتْ نُفُـوسُ قَـوم مَلِيئَـاتٌ بَأَضْـغَانِ[٢]
مَشَـى إِلَيهَـا بِـنَفْسٍ حَشْـوُهَا كَـرَمٌ مَـا إِنْ يُبَـالِي بَهُجْـرٍ أَو بِهِجْـرَانِ[٣]

يَشْقَى ذَوُو الضِّغْنِ بِالضِّغْنِ الدَّفِينِ وَلَا تَلْقَـى فُـؤَادَ كَـرِيمٍ غَـيرَ نَعْـمَانِ[٤]
مَا مِنْ حَقُـودٍ يُلَقِّي الصَّـدْرَ رَاحَتَـهُ الحِقْدُ سِـلٌّ خَـرُوجٌ بِالـدَّمِ القَـانِي[٥]
يَجرِي عَلَى القَلْبِ جَرْيَ الدُّودِ فِي رِقمٍ مِنْهَا الحَيَـاةُ وَفِيهَـا شَخْصُـهَا الفَـانِي

❋ ❋ ❋

(١) عقيلة المرء : العقيلة : الكريمة المخدرة ، ومن القوم سيدهم ، ومن كل شيء أكرمه .

(٢) غرضت : لعلها من غرض الإناء يغرضه : ملأه ، أي بمعنى امتلأت .

(٣) بهجر : الهجر : بالضم القبيح من الكلام ، والهجران : الترك ، أو الصرم والقطيعة .

(٤) نعمان : من نعم : أي متنعم ويعيش في فرح وسرور ورغد .

(٥) بالدم القاني : شديد الحمرة .

- ٣٤ -

أَلَا فَاسْمَعِي يَا هَذَأَةَ اللَّيْلِ قَالَتِي   وَلَا تَتْرُكِينِي بِالهُمُومِ مُسَهَّدَا

وَلَا تُنْكِرِي قَولِي - إِذَا اللَّيْلُ جَنَّنِي   لَكِ الوَيلُ مِنْ ضَيفٍ ثَقِيلٍ إِذَا بَدَا

وَلَا تُنْكِرِي أَنِّي وَدِدْتُ دُنُوَّهُ   بِأَمْسِ ، وَقَدْ أَصْبَحْتُ أَشْنَؤُهُ غَدَا

وَقَدْ كَانَ ؛ أَمَّا أَمْسُهُ فَمُحَبَّبٌ   وَفِي الغَدِ لَمْ نَبْسُطْ لِرَاحَتِهِ يَدَا

❊ ❊ ❊

آهِ يَـا نَفْـسُ ! لَقَـدْ مِتْنَـا عَـلَى الـذُّلِّ ، كَفَـاكِ

إِنَّ فِي العِـزِّ مَسَـاغًا لِانْتِهَـاضٍ وَفَكَـاكِ

وَدَعِـي مَـا جَلَـبَ الـذُّلَّ مِـنَ الأَمْـرِ عَنَـاكِ

وَرِدِي حَـوضَ اعْتِـزَالِ القَـومِ لَا يُـؤْذِي شَـجَاكِ[1]

إِنْ يَكُـنْ ذَاكَ شَـجَا الصَّـحْبِ فَفِـي الطَّـيِّ مُنَـاكِ

فَـإِذَا مَـا رُمْـتِ مِنِّـي أَنْ أُوَالِي مَـنْ بَـزَاكِ[2]

فَـدَعِينِي ؛ لَسْـتُ أَبْغِـي قُـرْبَ مَـنْ يَبْغِـي هَلاكِـي

وَاذْهَبِـي قُصِّـي بِـذُلِّ القِـنِّ آثَـارَ عِـدَاكِ[3]

وَاجْتَنِـي العَلْقَـمَ وَالصَّـابَ هُمَـا غَـرسُ يَـدَاكِ[4]

أَنْـتِ مَـنْ هِنْـتِ لِمَـنْ لَمْ يَـدْرِ جَهْـلاً فَرَمَـاكِ

فَاسْتَعِـدِّي لِفِرَاقِـي وَكَفَانِـي وَكَفَـاكِ

❋ ❋ ❋

---

(١) شجاك : من شجو : من الأضداد ، بمعنى : الحزن والطرب ، كما تأتي الكلمة بمعنى الحاجة ، ولعل هذا المعنى هو المراد للفظة (شجا) في البيت الذي يليه .

(٢) بزاك : يقال : بزا عليه : تطاول ... وأبزاه ، وأبزى : قهره وقوي عليه .

(٣) القن : عبد مُلِكَ هو وأبوه .

(٤) الصواب : يديك ، وهنا للضرورة الشعرية ، وقد وضع الشاعر هذه الكلمة بين قوسين للدلالة على ذلك .

حَوراءُ مِنْ نُجْلِ العُيُونِ مَرِيضَةٌ كَسَتِ الفُؤَادَ مِنَ السَّوَادِ الصَّافِي
وَرَمَتْهُ بِالسَّهْمِ المَرِيشِ ، فَقَلْبُهُ مِثْلُ الجَنَاحِ قَوَادِمٌ وَخَوَافِي
طَرَفَتْ بِمُقْلَتِهَا فَهَذَا قَلْبُهُ خَفِقُ الجَنَاحِ مُرَدَّدُ التَّرْجَافِ

تَوفِيقُ ! ذِكْرَاكَ العُهُودُ وَقَدْ مَضَتْ إِذْ نَرْتَدِي بُرُدَ الشَّبَابِ الضَّافِي
وَنَجُرُّ أَذْيَالَ الصَّبَابَةِ وَالهَوَى فَوقَ الخُدُودِ وَحُسْنِهِنَّ الوَافِي
وَنَمِيلُ مِشْيَةَ شَارِبٍ مُتَرَنِّحٍ شَرِبَ المُدَامَ بِكَأْسِ ثَغْرٍ شَافِي
حَمَلَ الجَمَالَ ، فَمَالَ يَحْتَمِلُ الهَوَى إِنَّ السَّبِيلَ بِغَيرِ هَادٍ خَافِ
حَمَلَ الجَمَالَ ، فَنَاءَ وَهْوَ مُصَمِّمٌ جَلْدُ المَرِيرَةِ شَامِخُ الأَعْرَافِ(١)

تَوفِيقُ ! ذِكْرَاكَ الزَّمَانُ وَحُسْنُهُ وَجَمَالُ بُرْدِ شَبَابِهِ الأَفْوَافِ(٢)

---

(١) جلد المريرة : أي قوة العزيمة من المرة : القوة ، أو ما في أمره .
الأعراف : ضرب من النخل ، ومن الرياح أعلاها .
(٢) الأفواف : يقال : برد مفوف : رقيق وفيه خطوط بيض .

وَالعَيْنُ تَسْرَحُ وَالقُلُوبُ فَتِيَّةٌ		تَخْتَالُ بَيْنَ قَرَارَةٍ وَنِيَافِ[1]

وَتَصِيدُ ؛ خَلْسَةَ حَابِلٍ مُتَيَقِّظٍ		مُلَحَ الجَمَالِ وَرَوْضَةُ المِتْنَافِ[2]

مَا بَيْنَ حَوْرَاءِ المَدَامِعِ رُوقَةٍ		تَدَعُ الجَلِيدَ فَرِيسَةَ الأَطْرَافِ

وَقَصِيدَةٍ كَالصُّبْحِ تَحْمِلُ طَيَّهَا		شَمْسَ النَّهَارِ ، وَدُرَّةَ الأَصْدَافِ

كُنَّا - وَمَا ظَلَمَ الزَّمَانُ - أَحِبَّةً		جَمَعَ القُلُوبَ لِنُصْرَةٍ وَعَفَافِ

حُبٌّ كَضَوءِ الشَّمْسِ فِي قَسَمَاتِهِ		لُمَعُ الوَفَا ، وَتَنَاصُفٌ ، وَتَصَافِ

قَلْبٌ يُنَاصِرُ قَلْبَ نِضْوٍ مُوْجَعٍ		هَجَرَ البِلَادَ لِهِجْرَةِ الإِنْصَافِ[3]

ضَرَبُوا البِلَادَ بِسَوطِ عَادٍ جَائِرٍ		نَدِسِ الطِّبَاعِ ، مُذَمَّمِ الأَوْصَافِ[4]

وَتَشَدَّقُوا بِالعَدْلِ فِي أَفْوَاهِهِم		وَالعَدْلُ هَمَّ يَلُوذُ بِالأَشْعَافِ[5]

---

(١) ونياف : لعلها من النيف : الزيادة ، أو الفضل والإحسان .

(٢) متناف : صيغة مبالغة من اسم الفاعل ، لعلها من النيف : الزيادة ، والمتناف أيضًا : السائر في أول الليل ، أو الراعي ماله .

(٣) نضو : النضو : المهزول .

(٤) الندس : الطعن ، وندس به الأرض : ضربه وصرعه ، والتنادس : التنابز بالألقاب ، والمعنى : ذو طباع سيئة .

(٥) الأشعاف : جمع شعف : أعلى الجبل أو رأسه .

حَسِـبُوا الهَـوَانَ يَلَـذُّ طَعْـمُ مَذَاقِـهِ   وَلَسَـوفَ تَـدْنُو لُجَـةُ الرَّجَّـافِ[1]

غَـادَرْتُ أَوْطَـانَ الشَّـبَابِ حَمِيَّـةً   وَالغِمْـدُ لَـيسَ يَلَـذُّ لِلأَسْـيَافِ

تَوفِيـقُ ! ذِكْـرَاكَ العُهُـودُ ، فَـرُبَّمَا   مَضَتِ السِّنُونُ ، وَمَـا يِئِـينُ تَـوَافِي[2]

❋ ❋ ❋

---

(١) الرجاف : البحر لاضطرابه .

(٢) يئين : يحين .

- ٣٧ -

رُبَّ بَـــــاكٍ فِي ذُرَى فَـــنَنٍ   دَمْعُـــهُ المَـــذْرُوفُ مِـــنْ نَغَمِـــهْ

تَتَلَقَّـــاهُ القُلُـــوبُ كَـــمَا   يُتَلَقَّـــى الـــوَرْدُ مِـــنْ دِيَمِـــهْ

فِي اهْتِـــزَازٍ دَائِـــمٍ أَبَـــدًا   عَـــمَّ مِـــنْ فَـــرْعٍ إِلَى قَدَمِـــهْ

نَغَـــمٌ مَـــا مَلَّـــهُ أَحَـــدٌ   وَيُنَجِّـــي المَـــرْءَ مِـــنْ صَـــمَمِهْ

فَلَـــهُ فِي كُـــلِّ جَارِحَـــةٍ   وَتَـــرٌ غَنَّـــى بِمُنْكَتِمِـــهْ

فَكَـــأَنَّ العُـــودَ مِـــنْ جَسَـــدٍ   لَا تَـــرَاهُ نَاطِقَـــاً بِفَمِـــهْ

❊ ❊ ❊

- ٣٨ -

لَسْتُ أَبْكِي مِنَ الفِرَاقِ وَلَكِنْ يَسْتَثِيرُ الدُّمُوعَ فَقْدُ المُوَاسِي

لَيسَ لِي غَيرُ وَاحِدٍ قَد رَعَى حُبِّـي ، وَأَوْلَى الفُؤَادِ بِالإِينَاسِ

غَيرَ أَنِّي لا أَسْتَبِيحُ لِنَفْسِي أَنْ أَبُثَّ الهُمُومَ فِي الأَنْفَاسِ

لَو قَضَيتُ الحَيَاةَ أَشْكُو إِلَيهِ مَا بِقَلْبِي لَمَا انْقَضَى مَا أُقَاسِي

أَنَا أَخْشَى عَلَيهِ مِنْ ثِقْلَةِ الدَّاءِ وَأَخْشَى أَنْ يَرْتَدِيهِ لِبَاسِي

❊ ❊ ❊

لمْ يَعُقْنِـي هَجْـرُ الرُّبُـوعِ وَمَـا ضَمَّـــــــتْ رُبَاهَـا مِـنْ صَـاحِبٍ وَصَـدِيقِ
أَنْ تُلَاقِي عَزمِي حَدِيدًا كَمِثْلِ السَّيْـــــــفِ يَفْـرِي الطُّـلا بِكُـلِّ طَرِيـقِ (١)

أَزْمَعَـتْ نَفْسِـيَ الفِـرَاقَ وَأَمْضَـتْ بِـإِثْرِي مَسِـيلُ دَمْـعٍ طَلِيـقِ
مِـنْ عُيُـونٍ كَأَنَّهَـا مَلَـكُ الوَحْـــــــيِ تُـواتِي الفُـؤَادَ بِـالتَّوفِيقِ
نَاعِسَـاتٍ عَـنِ الزَّمَـانِ وَلَيسَـتْ نَاعِسَـاتٍ عَـلَى أَدَاءِ الحُقُـوقِ
قَـدْ رَعَتْنِـيَ طِفْـلاً وَغَـذَتْ فُـؤَادِي فِي شَـبَابِي بِكُـلِّ حُـبٍّ عَمِيـقِ

وَالفَتَـى لَا يَـزَالُ حَيّـاً إِذَا لَمْ يَخْـلُ يَومـاً مِـنْ شَـائِقٍ أَو مَشُـوقِ

* * *

---

(١) الطلا : الأعناق .

- ٤٠ -

حسين

يُعَنِّفُنِـــي فِي حُبِّـــهِ ذُو ضَـــغِينَةٍ عَلَيـــهِ وَإِنْ طَاوَعَتْـــهُ كُنـــتُ أَلأَمَـــا
وَلَـــيسَ جَـــدِيرًا بِـــالوِدَادِ لِصَـــاحِبٍ إِذَا أَحْجَـــمَ القَـــومُ المُـــرَاؤُونَ أَقْـــدَمَا
سَـــقَانِيَ مِـــنْ مَـــاءِ الـــوِدَادِ بِكَأْسِـــهِ وَأَنْهَـــضَ مِنِّـــي جَانِبـــاً مُتَهَـــدِّمَا
وَنَعَّمَنِـــي فِي رَوضَـــةٍ لَا تَـــرَى بِهَـــا سِوَى النَّورِ وَالعُـــودِ الـــرَّوِيِّ المُقَوَّمَـــا

وَجَانِيَـــةٍ شَـــهْدَ الزُّهُـــورِ وَمَـــا جَنَـــتْ مِـــنَ الشَّـــهْدِ إِلَّا وُدَّهُ إِذْ تَعَمَّـــمَا
تَنَقَّـــلُ فِي حُسْـــنِ الرِّيَـــاضِ طَرُوبَـــةً تَـــنَعَّمُ فِي أَزْهَـــارِهِنَّ تَـــنَعُّمَا
وَتَجْنِي مِنَ الإِخْلَاصِ وَالـــوُدِّ وَالوَفَـــا وَطِيـــبِ سَـــجَايَاهُ الشِّـــفَاءَ المُقَسَّـــمَا

❋ ❋ ❋

لَمْ تُـــوهِ وُدّي السِّـــفَارُ وَالقُحَـــمُ   وَلَا اللَّيَـــالِي تُمِـــدُّهَا الظُّلَـــمُ(١)

بَيْنِـي وَبَـيْنَ الحَبِيـبِ مِـنْ صِـلَةٍ   مَـا فَـكَّ مِـن حَبْـلِ عِقْـدِهَا القِـدَمُ

يَـا رِيـحُ هَـلَّا حَمَلْـتِ سَـالِمَةً   رَسَـائِلِي فَالبَنَـانُ مُـنْحَطِمُ

لَا آمَـنُ الـبَرْقَ وَالبَرِيْـدَ ، وَلَا   آمَـنُ إِلَّا الرِّيَـاحَ تَقْـتَحِمُ

❊ ❊ ❊

(١) السفار : من سافر إلى بلد كذا سفارًا ومسافرة : مضى .

وقحم الطريق : مصاعبه .

- ٤٢ -

يَـا مُقْلَـةً سَـهِرَتْ ، وَالهَـمُّ يَمْلَؤُهَـا
مَهْلاً عَـنِ الـدَّمْعِ إِذْ يَجْـرِي وَيَنْهَمِـرُ

إِنْ سَاءَكِ الدَّهْرُ يومًا مَا عَـدَاكِ بِـلَا
عَـوْدِ السُّـــرُورِ فَهَـذَا الخِطْـأُ مُغْتَفَـرُ

وَلَـــذَّةُ المَـــرْءِ لَا تَحْلُـــو إِذَا وَرَدَتْ
عَـلَى الفُـؤَادِ عَـدَاهُ الهَـمُّ وَالضَّـجَرُ

❋ ❋ ❋

- ٤٣ -

ثَقِفَتْ مِنْ فَمِ الزَّمَانِ كَلامًا أُذُنٌ لَمْ تَدُرْ عَلَى الأَوْهَامِ

كَلِمَاتٌ تَمُوجُ كَالبَحْرِ، تَدْوِي كَدَوِيِّ الوُحُوشِ فِي الآجَامِ[1]

❋ ❋ ❋

---

(١) الآجام: جمع أجم: بيت الأسد.

رُبَّمَا كَانَ لِلغَرِيبِ مِنَ الأَحْبَابِ مَا لَا يَضُمُّهُ الوَطَنُ

لَا تُخَلِّيهِ مِنْ وِدَادٍ يَدُ الدَّهْرِ ومَهْمَا تَقَادَمَ الزَّمَنُ

لَيسَ لِلوُدِّ إِنْ تَرَعْرَعَ وَاسْتَحْصَدَ فِي طِيبِ مُهْجَةٍ ثَمَنُ(١)

وَإِذَا مَا الْتَقَتْ قُلُوبٌ عَلَى الوُدِّ فَكُلٌّ لِخِلِّهِ سَكَنُ(٢)

❋ ❋ ❋

(١) استحصد : حان أن يحصد .

(٢) هذه الأبيات أرخ لها الشاعر في ٧ ربيع الأول سنة ١٣٤٧ ، ٢٢ أغسطس سنة ١٩٢٨م .

محمد

يَـا حَبِيــبَ الفُــؤَادِ أَقْصَــاكَ عَنِّــي   طَــارِقٌ مَــنْ طَــوَارِقِ الحَــدَثَانِ
كُنْــتَ لِي سَــلْوَةً بِهَــا أَتَسَــلَّى   حِــينَ يَفْــرِي الفُــؤَادُ بِالجَيَشَـانِ[١]
كُنْــتَ لِي مُهْجَــةً تَضُــمُّ فُــؤَادِي   حِــينَ يُمْسِــي يَشْــتَدُّ فِي النَّـزَوَانِ[٢]
يَلْتَقِــي صَــدْرُكَ الحَنُــونُ بِصَــدْرٍ   مِــلْءُ أَحْنَائِــهِ مِــنَ الهَمَــلَانِ[٣]
مِــنْ دُمُــوعٍ لَيسَــتْ مِــنَ المَــاءِ إِلَّا   فِي اسْــمِهَا إِنَّهَــا مِــنَ النِّــيرَانِ
فَاسْــتَقَرَّتْ ثُــمَّ اسْــتَقَادَتْ وَنَامَــتْ   حِــينَ تَحْنُــو وَيَلْتَقِــي الصَّــدْرَانِ
صَــدْرُكَ المُطْمَــئِنُّ فِي نَــازِلِ الدَّهْــ   ــرِ ، وَصَــدْرٌ يَشْــتَدُّ فِي الخَفَقَــانِ
فَرَعَــاكَ الإِلَــهُ يَــا نُــورَ عَينَــيَّ   وَمَــنْ لِلمَهِــيضِ بِــالطَّيَرَانِ ؟![٤]

❀ ❀ ❀

---

(١) الجيشان : من جاش البحر والقدر وغيرهما يجيش جيشًا وجيشانًا : غلى ، والنفس غثت من حزن أو فزع .
(٢) النزوان : من نزا به قلبه : وثب وطمح .
(٣) الهملان : من هملت عينه تهمل هملاً وهملانًا : فاضت ، والسماء دام مطرها في سكون .
(٤) المهيض : من هاض العظم يهيضه : كسره بعد الجبور ، وفي الطائر انكسر جناحه .

في بوادر الفراق

حسين[١]

كَانَ قُـرْبُ القُلُـوبِ لَا عَـنْ تَـرَاضٍ مِنْ زَمَـانِي بَـلْ كَـانَ نُهْبَـةَ خَلْـسٍ[٢]
كَـانَ حُـبُّ القُلُـوبِ كَنْـزًا ، وَلَكِـنْ بَدَّدَتْـهُ الأَيَّـامُ تَبْدِيـدَ نَفْسِـي
غَـيرَ أَنَّ الشَّـتَاتَ يَـأْبَى ضَـيَاعًا فَـتَرَاهُ مَـا بَـينَ جَـذْبٍ وَلَمْـسِ
إِنْ نَـأَتْ دَارُنَـا (حُسَـينُ) فَقَـدْ كَـا نَ التَّـدَانِي بِـالأَمْسِ شِـيمَةَ أَمْـسِ
فَـادَّكِرْنِي حُسَـينُ حِـينَ مَغِيبِـي إِنَّ هَـذِي الـذِّكْرَى لَتَبْلُـغُ حِسِّـي

❊ ❊ ❊

---

(١) هو حسين نصيف ، من أعيان مدينة جدة .

قال هذه الأبيات حين ودعه راجعًا إلى القاهرة ، وأرخ الشاعر لهذه الأبيات في ٢٨ ذو الحجة ١٣٤٧هـ ، ٦ يونيو سنة ١٩٢٩م (جدة) .

(٢) خلس : من الاختلاس ، وهو السلب أو سلب الشيء مخاتلة وعاجلاً .

فهرست المصادر والمراجع

١ - **اعصفي يا رياح وقصائد أخرى** ، شرح وتقديم الدكتور عادل سليمان جمال ، جمع وتحقيق الدكتور فهر محمود محمد شاكر

٢ - **دراسات عربية وإسلامية** ، بمناسبة بلوغ العلامة محمود شاكر السبعين ، إعداد : أيمن فؤاد السيد وأحمد إمام والحساني عبد الله ، القاهرة ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م

٣ - **رسالة في الطريق إلى ثقافتنا** ، محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني بالقاهرة ، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م

٤ - **شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام** ، لأبي الطيب محمد بن أحمد الفاسي المكي ، تحقيق د. مصطفى محمد الذهبي ، الناشر مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة بمكة المكرمة ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٩م

٥ - **القاموس المحيط** ، لمجد الدين الفيروزآبادي ، الطبعة الخامسة ، المكتبة التجارية بمصر

٦ - **القوس العذراء** ، محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٢هـ

٧ - **القوس العذراء وقراءة التراث** ، الدكتور محمد أبو موسى ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م ، مكتبة وهبة بالقاهرة

٨ - **لسان العرب** ، لابن منظور ، الطبعة المصورة عن طبعة بولاق ، الناشر : الدار المصرية للتأليف والترجمة

٩ - **مجلة الثقافة بمصر** ، العدد (٥٢) ، يناير ١٩٧٨

١٠ - **محمود محمد شاكر ، قصة قلم** ، الأستاذة عايدة الشريف ، دار الهلال ، القاهرة ، ١٩٩٧م

١١ - **محمود محمد شاكر ، سيرته الأدبية ومنهجه النقدي** ، الدكتور إبراهيم الكوفحي ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م

١٢ - **أبو فهر محمود محمد شاكر بين الدرس الأدبي والتحقيق** ، محمود إبراهيم الرضواني ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م ، مكتبة الخانجي بالقاهرة

١٣ - **المرصع في الآباء والأمهات والبنين والبنات والأذواء والذوات** ، لمجد الدين ابن الأثير ، تحقيق د. إبراهيم السامرائي ، الناشر : ديوان الأوقاف بالعراق ، مطبعة الإرشاد ، ١٣٩١هـ-١٩٧١م

١٤ - **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب** ، لابن هشام الأنصاري ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، الطبعة الأولى ، مطبعة السعادة بمصر

الفهرست

أولاً : فهرست الدراسة

ثانيًا : فهرست الشعر حسب ما جاء في الديوان

